

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

د. عدنان مصطفى خطاطبة

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية - كلية الشريعة

جامعة اليرموك - إربد - الأردن

ملخص: هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية، واستخلاص مرتكزاته، وما تدل عليه من مبادئ تربوية، والإشارة لانعكاسات ذلك على العملية التعليمية. وقد تكونت الدراسة من ثلاثة مباحث: الأول في مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية، والثاني في مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية ومبادئها التربوية، والثالث في انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على العملية التعليمية. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي، مقتصرًا على الرؤية الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة. والمرتكزات العشرة التي خرجت بها الدراسة هي: النفس الإنسانية مخلوقة إنساناً أصالةً، والنفس الإنسانية مزدوجة البنية ومتفاعلة المكونات، والنفس الإنسانية مبطورة بفطرة الله، وللنفس الإنسانية نموها المرحلي، وللنفس الإنسانية حرّيتها واستعداداتها، وللنفس الإنسانية صفاتها المختلفة وأصولها المتعددة، والنفس الإنسانية مدفوعة السلوك، والنفس الإنسانية ذات نزعة فردية جماعية، والنفس الإنسانية مغيّة الوجود، والنفس الإنسانية محدودة المصير. وكان من أهم النتائج، أن مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية يدل على منظومة المفاهيم والمرتكزات الإسلامية المتعلقة بالنفس الإنسانية، والتي تُفيد البناء المعرفي للتربية الإسلامية، وتقوم على أساسها عملياتها التربوية والتعليمية. وأن على المعلم توجيه طاقات الطالب واستعداداته وقواه التي منحها الله إياها، نحو تطويرها لإتقان مهارات العلم، وضرورة مراعاة المنهج التربوي الإسلامي لمرتكزات الأصل النفسي المستمدة من القرآن والسنة.

الكلمات المفتاحية: الأصل النفسي، التربية الإسلامية، النفس.

The psychological origin for the Islamic education: fundamentals study

Abstract: The objective of the study was to identify the concept of psychological origin of Islamic education, to figure out its fundamentals and its indications of educational principles, and the reflection of all this on the educational process. The study was divided into three sections. In the first section, the study addressed the concept of psychological origin for Islamic education. The second section addressed the fundamentals of psychological origin of Islamic education and their educational principles. In the third section, the study addressed the psychological origin reflections on the educational process. The most important findings of the current study were that the concept of the psychological origin of Islamic education signifies a concept system and the Islamic fundamentals relating to human self, which implies the knowledge construct of the of Islamic education. The ten psychological origin fundamentals found in the current study include a number of educational principles which, if taken, can improve the

د. عدنان خطاطبة

educational process and improve its outcomes. The teacher must direct the potentials and aptitudes of his students to improve their ability in acquiring science. All faculty members must concentrate on the positive interaction, advice and discussion values.

Key words: Psychological origin, Islamic education, Self.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: تُعدّ "النفس الإنسانية" هي الميدان العملي للتربية الإسلامية، وهي المقصودة بالتغيير الفكري، والتعديل السلوكي، والبناء الإنساني الشمولي، لذا لا بُدَّ أن تكون عملية تربيتها وتعليمها مبنية على تصوّر سليم لطبيعة النفس الإنسانية. وهذا ما حاولت جاهدة جميع الفلاسفات التربوية على مرّ العصور الوقوف عليه، وتحصيله، وتقديم رؤية له. وهذا ما كان بالفعل، حيث قدّمت آراء مختلفة ومتنوعة في فهم النفس الإنسانية، ورسم حدود لطبيعتها، لكنها بقيت آراء بشرية قاصرة عن الوصول إلى معارف وحقائق شمولية وصادقة عن النفس، بدليل وصول كثير من الآراء إلى حدّ التناقض فيما بينها أو التطرّف في رؤيتها بين الأحادية والثنائية، أو المادية والروحية، أو البعد الواحد في النفس الإنسانية، مرتبة على كل ذلك عملياتها التربوية، التي حارت ما بين ترك النفس بدون تدخل المجتمع، أو تسليط المجتمع عليه، أو تضخيم جانبه الجسدي أو العقلي، وغير ذلك. ولكن تبقى المعرفة المستمدة من الوحي الإلهي هي التي تقدّم الحقيقة عن هذه النفس، لكون الذي أخبر بحقائق الوحي هو الله خالق هذه النفس، وعندها وبتلازم هذه المعادلة وحضور طرفيها: (التربية - النفس الإنسانية) المبنية على حقائق المنهج الإلهي المسترشدة بتوجيهاته، تكون التربية الإسلامية قد امتلكت إحدى مداخل تربية النفس الإنسانية تربية رشيدة وسليمة. وهذا ما يتوظّف لتحقيقه الأصل النفسي للتربية الإسلامية، والذي يُعنى بتقديم المفاهيم والرؤى والأسس الإسلامية المستمدة من مصادر الشريعة فيما يتعلق بطبيعة النفس الإنسانية، لتتمّ العملية التربوية وفقاً لها. ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة.

أهداف الدراسة: تتحدد أهداف الدراسة في بيان مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية، واستخلاص مرتكزاته، وما تدل عليه من مبادئ تربوية، وانعكاسات على العملية التعليمية.

أسئلة الدراسة: تكونت الدراسة من الأسئلة الرئيسية الآتية:

- ما مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية؟
- ما مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية؟ وما أهم المبادئ التربوية المتضمنة فيها؟
- ما انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على العملية التعليمية؟

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

أهميتها: تأتي أهميتها من كونها تقدّم معالجة علمية ومنهجية لأحد أهم أصول التربية الإسلامية، وتسدّ ثغرة واقعية في مكتبة التربية الإسلامية، وتقدم رؤية نفسية إسلامية للأصل النفسي يمكن أن تستفيد منها أقسام تصميم المناهج بوزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي في تطوير المقررات الدراسية واختيار الأساليب التدريسية الأكثر انسجاماً مع طبيعة النفس الإنسانية.

منهج الدراسة وحدودها: يتبع الباحث في دراسته للأصل النفسي للتربية الإسلامية، المنهج الوصفي الاستنباطي، مقتصرًا على الرؤية الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة (وهو المراد بمصطلح دراسة تأصيلية) للموضوع دون المقارنة. وحدود بحث الأصل النفسي من حيث: المفهوم والمرتكزات والدلالات التربوية. وتحدّد الدلالات التربوية بأمرين، هما: المبادئ التربوية والانعكاسات التربوية. كما يتحدّد ميدان العملية التعليمية بعنصري المعلم والمتعلم.

الدراسات السابقة: هناك عدد من الدراسات العلمية ذات صلة بجوانب من البحث لا بموضوعه الكلي، منها: دراسة عماد الشريفين (2009)، أطروحة دكتوراه في جامعة اليرموك) بعنوان: "تحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني". وقد تناولت مراحل النمو والعوامل المؤثرة فيه بشكل مفصل، وتستفيد منها الدراسة الحالية في بناء بعض المرتكزات. ودراسة أحمد فلاتة (1993)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز) بعنوان: "آداب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي"، وتناولت دوافع المتعلم لطلب العلم وآدابه مع نفسه وأساتذته وزملائه ومدرسته، وتستفيد منها الدراسة الحالية في جوانب من انعكاسات الأصل النفسي على العملية التعليمية.

خطة الدراسة: تكونت الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة. جاء المبحث الأول بعنوان: مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية، والمبحث الثاني بعنوان: مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية ومبادئها التربوية، والمبحث الثالث بعنوان: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على العملية التعليمية.

المبحث الأول: مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية

يُعنى هذا المبحث بتحديد مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية، ونظراً لكون هذا المفهوم مركباً من عدّة ألفاظ، فإنّ المنهجية العلمية تقتضي تعريف أجزاء هذا المركب، ثمّ تعريفه ككل. ولذا سيتمّ تعريف كلٍّ من: الأصل، والنفس، والتربية الإسلامية، ثمّ تعريف الأصل النفسي للتربية الإسلامية.

أولاً: تعريف الأصل: نظراً لأنّ لفظ "الأصل"، محوري في هذه الدراسة، وفي دراسات أصول التربية العامة والإسلامية، ولقلة تحرير معناه فيها، واختلاف استخدامه، وأثر ذلك في توجّهات البحوث والباحثين، فسيقوم الباحث بتحرير معناه وفق الأصول العلمية.

د. عدنان خطاطبة

الأصل في اللغة: قال ابن فارس: "أصل: الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول متباعدٌ بعضها من بعض، أحدها: أساس الشيء، والثاني: الحية، والثالث: ما كان من النهار بعد العشي" [1-77] وما يعني هذه الدراسة هو المعنى الأول فقط. وقال الرازي: "الأصل واحدُ الأصول، يُقال: أصل مؤصلٌ، واستأصلهُ: قلعه من أصله" [2-30]. وقال ابن منظور: "الأصل: أسفل كُلِّ شيء. وجمعه: أصول لا يكسر على غير ذلك. ويقال: استأصلت هذه الشجرة: أي: تبت أصلها، واستأصل الله بني فلان: إذا لم يدع لهم أصلاً، ورجلٌ أصيل: ثابت الرأي" [3-134/6]. وقال الفيروز آبادي: "الأصل: أسفل الشيء، وأصل: صار ذا أصل، أو ثبت ورسخ أصله" [4-961]. وفي المعجم الوسيط، "أصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه. وأصول العلوم: قواعدها التي تُبنى عليها الأحكام" [5-20]. ومن خلال ما تقدّم من بيان لغوي لمعنى لفظ "الأصل"، فإنه يمكن الخروج بما يأتي: تدلّ كلمة الأصل لغةً على أساس الشيء، وأسفله، وتحمل كلمة الأصل في اللغة معاني الثبات والرسوخ والتجذّر، وتجمع كلمة أصل على أصول فقط، وتشير دلالة كلمة الأصل إلى كونها أرضية صلبة يمكنها حمل غيرها، وتستعمل كلمة أصل في الأمور المادية والمعنوية.

وأما في استعمال القرآن والسنة، فقد ورد لفظ "أصل" في ثلاث آيات: في قوله تعالى:

M ألم تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ L (إبراهيم:

24)، وأصل الشجرة: جذرها [6-224/13]، وفي قوله تعالى: L k j i h M

Lm (الصافات: 64)، أي: في قَعْرِ جَهَنَّمَ [7-42/7]. وفي قوله تعالى: M / 3 2 1 O

L 8 7 6 5 4 (الحشر: 5)، ومعنى قائمة على أصولها: أي النخلة قائمة على

سوقها، لم يتمّ قطعه [8-6/18]، والأصول: القواعد، والمراد هنا، سوق النخل [6-77/11]. وأما

في السنة، فقد ورد لفظ الأصل في عدّة روايات، منها، حديث سهل رضي الله عنه، والذي فيه:

ثم نزل (رسول الله صلى الله عليه وسلم) فسجد في أصل المنبر ثم عاد "صحيح البخاري

450/3: 866]، أي: على الأرض إلى جنب الدرجة السفلى [9-62/3]. والذي يظهر من معاني

لفظ الأصل كما ورد في النصوص الشرعية، أنه يدلّ على قواعد الشيء، وجذوره الثابتة.

وأما في المعنى الاصطلاحي، فقد عرّف الأصل بأنه المبادئ العليا التي تقوم عليها حياة

الناس [10-38]، وعرّف بأنه القوانين والقواعد التي تُبنى عليها العلوم [11-30]. ويُعرف الباحث

من مجموع ما تقدّم الأصل بأنه: قواعد مادية أو معنوية، تتصف بالثبات والقوة، يقوم عليها بناء،

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

ويتفرع عنها فروع، ذات صلة بها. وهذا التعريف يصدق على الاستخدام المادّي لكلمة أصل، وعلى الاستخدام المعنوي كذلك. ولا شك أن ما يعني هذه الدراسة هو الاستخدام المعنوي. **ثانياً: تعريف "النفس":** تشكل لفظة "النفس" في هذه الدراسة، محوراً الرئيس، ولذا لا بُدّ من الاهتمام بمعناها، وتحريير مدلولها من منظور إسلامي يتفق مع توجه الدراسة، لكونه سيؤثر على مضمونها بشكل كبير.

معنى كلمة "النفس في اللغة": قال ابن فارس: "نفس: النون والفاء والسين أصل واحد، يدلّ على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها. والنفس: كل شيء يفرّج به عن مكروب. ويُقال للعَيْنِ نَفْسٌ، وأصابَتْ فلاناً نَفْسٌ. والنَّفْسُ: الدَّم، وذلك أنه إذا فقد الدَّم من بدن الإنسان فقد نَفَسَهُ" [1-1040]. وقال الرازي: "النَّفْسُ: الروح، يقال: خرجت نَفْسُهُ، ويقولون: ثلاثة أنفُس، فيُذَكَّرُونَهُ لأنهم يريدون به الإنسان. ونَفْسُ الشيء: عَيْنُهُ يُوَكِّدُ به، يقال: رأيت فلاناً نَفْسَهُ، وجاعني بنفسه" [2-587]. وقال ابن منظور: "النَّفْسُ في كلام العرب يجري على ضَرْبَيْنِ: أحدهما، قولك: خَرَجَتْ نَفْسُ فلان، أي: روحه. وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي: في رُوعه، والضرب الآخر: معنى النَّفْسُ فيه معنى جُمْلَةُ الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نَفْسَهُ، وأهلك نفسه، أي: أوقع الإهلاك بذاته كلّها وحقيقته. والجمع من كلِّ ذلك: أنفُسٌ ونفُوسٌ. والنَّفْسُ يُعبر بها عن الإنسان جمعيه، كقولهم: عندي ثلاثة أنفُس. ويقال: ما رأيت تَمَّ نَفْساً، أي: ما رأيت أحداً" [3-331/4]. وأما النَّفْسُ، فهو خروج الريح من الأنف والقم، والفرج من الكرب، والجمع أنفَاسٌ [3-332]. والنَّفْسُ: ذات الشيء وعَيْنُهُ، يُقال: جاء هو نفسه أو بنفسه [5-940].

وتُظهر المعاني المتقدّمة لكلمة النَّفْسُ في اللغة أنها تدلّ فيما تخص الإنسان تحديداً: على: الروح، والدَّم، والرُّوع، والذَّات، وحقيقة الإنسان، وجميع الإنسان وكيّته. وأنها تجمع على أنفُس ونفُوس. وأن هناك فرقا بين النَّفْسِ والنَّفْسِ، فالنَّفْسُ بتسكين الفاء تخص الإنسان، وبفتحها تدلّ على الهواء والفرج، وجمعها أنفَاس. وخلاصة المعنى اللغوي الذي يراه الباحث، أن كلمة النَّفْسِ إما أن يدل معناها على الإنسان ككل، وإما أن يدلّ على بعض الإنسان، كروحه ودمه ورُوعه.

معنى كلمة "النَّفْس" في النصوص الشرعية: وردت كلمة "نفس" في القرآن الكريم بمشتقاتها عشرات المرّات [12-803]؛ حيث وردت بلفظ "نفس": (61) مرّة، ولفظ "نفساً": (14) مرّة، ولفظ "نفسه": (10) مرّات، ولفظ "نفسه": (40) مرّة، ولفظ "نفسها": مرّتين، ولفظ "نفسى": (13) مرّة، ولفظ "نفوسكم": مرّة واحدة، ولفظ "الأنفُس": (6) مرّات، ولفظ "أنفُسكم": (49) مرّة، ولفظ "أنفُسنا": (3) مرّات، ولفظ "أنفسهم": (91) مرّة، ولفظ "أنفسهن": (4) مرّات، أي أن مجموع ما وردت به كلمة "نفس" بمشتقاتها في القرآن الكريم هو: (295) مرّة. ومما لا

د. عدنان خطاطبة

شك أن هذا التكرار الكبير والواضح لكلمة "النفس" في القرآن الكريم الذي هو وحي إلهي، ومنهج حياة متكامل للبشرية، له دلالاته، منها: تقدير القرآن الكريم للنفس، والجانب النفسي من سلوك الإنسان، والمجالات التي تظهر فيها الحياة النفسية [13-180]، وضرورة وضوح معنى النفس من المنظور الإسلامي؛ لأنها كلمة وردت في القرآن، وتعدد ورودها، ولا يمكن بحال خفاء معنى ألفاظ القرآن، أو غموض دلالة مصطلحات جاءت في القرآن الكريم، الذي خاطب العقل بلسان عربي مبين، وكلف الإنسان بالعمل بما فيه وتطبيقه.

لذلك، فإن شأن كلمة "النفس" في القرآن شأن كثير من المفاهيم القرآنية، كمفهوم الحياة، والموت، والغيب، وآدم، والشريعة، والإيمان، لها دلالاتها الشرعية التي لا بد أن تكون بيّنة لا ضلال فيها، فلا يُلتفت إلى تلك الآراء التي تصف مفهوم النفس بأنه معقد وغماض وصعب المنال. فهذه دلالة مهمة لتكرار ورود كلمة النفس في القرآن؛ لأنه بذلك يمثل مصدراً أساسياً لمفهومها إسلامياً. وبتتبع الآيات القرآنية الواردة في "النفس"، فإنه يمكن التوصل إلى نتيجة مفادها: أن مفهوم كلمة "النفس" في القرآن الكريم جاءت ضمن دلاليتين محوريّتين، هما:

الأولى: الدلالة الكلية لكلمة النفس، وهي الغالبة في نصوص القرآن الكريم كما تتبعها

الباحث في عشرات الآيات الكريمة، وذلك كما في الآية الكريمة: $W \ V \ U \ t \ M$

X (البقرة: 44)، قال ابن عاشور: "أي: يأمر الواحد غيره وينسى نفسه. والأنفس جمع نفس، يسكون الفاء، وهي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح، وباعتبار هذا التركيب الذي في الذات اتسع إطلاق النفس في كلام العرب، تارة على جميع الذات، كما في التوكيد، نحو: جاء فلان نفسه، وتارة على البعض، كقول القائل: أنكرت نفسي" [6-458/1]. وكما في الآية الكريمة:

M (البقرة: 72)، والآية الكريمة: M وَمَا تَدْرِي نَسْتُمْ مَأْدَا تَكْسِبُ

عَدَا (لقمان: 34)، والآية الكريمة: M يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا (التحریم: 6). وقال

ابن عاشور أيضاً عند تفسيره للآية الكريمة: M " # \$ % & ') * + ,

- (النحل: 111): "والمجادلة: دفاع بالقوة للتخلص من تبعة فعل، والنفس الأول: بمعنى

الذات والشخص، والنفس الثانية: ما به الشخص شخص، فالاختلاف بينهما بالاعتبار، ذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح، فيسمّنها النفس، أي: الذات، وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير "أنا"، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه، فيسمونها نفساً أيضاً. والمعنى: يأتي كل أحد يدافع عن ذاته، أي: يدافع بأقواله ليدفع أعماله" [6-243/13]. وعليه، فإن

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

الآيات المتقدمة وتفسير بعضها، يدلّ دلالة واضحة على أنّ مراد القرآن الكريم بكلمة "النفس" فيها هو: الإنسان ككل، وهو الدلالة الأصلية لمفهوم النفس.

الثانية: الدلالة الجزئية لكلمة النفس، حيث يُشير عدد من النصوص إلى دلالة كلمة النفس على بعض مكوناتها، وبخاصة المخفية كالروح، أو الباطنة كالضمير أو الصدر أو الرُوع، كما في الآية الكريمة: **م وَلَوْ تَرَوْنَا إِذِ الظَّالِمُونَ فِي ۞ الأوت والملككة بأسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم** **اليوم مُجْرُونَ** L (الأنعام: 93). قال البغوي: (أخرجوا أنفسهم)، أي: أرواحكم [7-169/3]. وقال ابن عاشور في قوله تعالى: "أخرجوا أنفسهم": الأنفس: الأرواح، أي: أخرجوا أرواحكم من أجسادكم" [6-378/7]. ففي هذه الآية دلت كلمة النفس على الروح، وهي بعض النفس بمعناها الكلي المتقدم. وكذلك الآية الكريمة: **م وَأُولَئِكَ هم الكفرةون** L (التوبة: 85). قال البغوي: "والمعنى: أن الله يريد أن يخرج أرواحهم حال كفرهم" [7-378/7]. والآية الكريمة: **h g f e d c b M** L (البقرة: 235)، وغيرها من الآيات التي تشير إلى دلالة النفس على باطن الإنسان أو ضميره أو صدره.

وأما بالنسبة لنصوص السنة النبوية، فإنها تؤكد دلالات كلمة النفس المتقدمة كما جاءت في القرآن الكريم، فمن الأحاديث الشريفة التي تدل فيها كلمة النفس على الإنسان ككل، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [صحيح البخاري 21/1: 12] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) [صحيح مسلم 106/5: 4468] ، ومن الأحاديث التي تدل فيها النفس على بعضها (الروح)، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألم تروا الإنسان إذا مات شخّص بصره)، قالوا: بلى، قال: (فذلك حين يتبع بصره نفسه) [صحيح مسلم 93/3: 2171]. قال النووي: المراد بالنفس هنا الروح [14-332/3].

فالنتيجة التي يتوصل إليها من خلال النصوص الشرعية، أنّ مفهوم النفس من المنظور الإسلامي ووفقاً لمرجعياته الأصلية واضح غاية الوضوح في دلالاته الأصلية على "مجموع الإنسان" و"ذاته كلّها" بعموم مكوناتها المادية والمعنوية، وأنها قد تدلّ أحياناً على بعض مكونات النفس المعنوية كالروح أو جانبها الباطني. وهذا يؤكد أنّ معنى النفس في المنظور الإسلامي بعيد كلّ البعد عن التعقيدات والصعوبات والإشكالات التي لحقت بهذا المفهوم من مصادر المعرفة الإنسانية التي لم تعتمد الوحي الإلهي مرجعيةً أساسية في الوقوف على معناه ودلالاته، رغم تكرره

د. عدنان خطاطبة

فيه مئات المرّات. والباحث إذ يقرّر التعامل مع مفهوم النفس بحسب "دلالتها الكلية" المثبتة والواضحة في نصوص الشرع، فإنه يدعو جميع الباحثين في مجال التربية ومجال علم النفس إلى ضرورة تحرير كثير من المفاهيم المستخدمة في ميادين هذين المجالين من منطلق المرجعية الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية. وهذا من الناحية التربوية، فيه اتباع للمنهج الرباني، وتربية على تعظيم ما جاء به، وتقديم لمعارفه الصادقة والسليمة على غيرها.

ثالثاً: تعريف التربية الإسلامية

بما أنّ موضوع البحث هو الأصل النفسي للتربية الإسلامية، فلا بدّ من تقديم تعريف للتربية الإسلامية، ومن بين تعريفاتها الشمولية وذات النظرة الكلية، تعريف "مقداد يالجن"، حيث عرّف التربية الإسلامية بأنها "تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة: من الناحية الصحية والاعتقادية والروحية والأخلاقية، والإدارية والإبداعية، في جميع مراحل نموّه، في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بيّنها" [15-26]. فهذا التعريف وسّع من مفهوم التربية الإسلامية ولم يقتصر به على المواد التدريسية في المدارس. وهذا هو التوجه السليم.

رابعاً: تعريف "الأصل النفسي للتربية الإسلامية"

إن الباحث ليؤكد أهمية تعريف الأصل النفسي للتربية الإسلامية وتوضيحه والحاجة الماسة إلى ذلك، من خلال ما وقف عليه من ندرة تعريفه في أكثر مؤلفات أصول التربية الإسلامية التي رجع إليها، والتي تجاوز عددها العشرين. ويرى الباحث من خلال ما تقدّم من تعريفات: الأصل والنفس والتربية الإسلامية، أنه يمكن تعريف الأصل النفسي للتربية الإسلامية بأنه: منظومة المفاهيم والمرتكزات الإسلامية المتعلقة بالنفس الإنسانية، التي تُفيد البناء المعرفي للتربية الإسلامية، وتقوم على أساسها عملياتها التربوية والتعليمية.

وبعبارة شارحة لهذا التعريف، فإنّ المعادلة المفاهيمية للأصل النفسي للتربية الإسلامية تشير مكوناتها إلى أن هناك مجموعة متناسقة من المفاهيم والقواعد العلمية التي تمثل نظرة الإسلام للنفس الإنسانية كما تحدّد مصادره الشمولية، هذه المجموعة المتناسقة (المنظومة)، يأخذها علماء التربية الإسلامية وخبرائها ليوظفوها توظيفاً تربوياً، فيكملوا بها المكوّن النظري والمعرفي للتربية الإسلامية، ويفعلوها في العملية التربوية والتعليمية ومناهجها على أرض الواقع، وفي المجتمع المسلم، جنباً إلى جنب مع باقي أصول التربية الإسلامية الأخرى، كالأصل العقدي والتعبدي والتشريعي والاجتماعي والاقتصادي للتربية الإسلامية.

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

المبحث الثاني: مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية ومبادئها التربوية

يحاول الباحث في هذا الجزء من الدراسة تحديد أبرز المرتكزات التي يتشكل منها الأصل النفسي للتربية الإسلامية، والتي تُمثل في جوهرها معالم النظرة الإسلامية للنفس الإنسانية المستمدة من مصادر الإسلام الأصيلة، ثم الوقوف على ما تتضمنه هذه المرتكزات من مبادئ تربوية رئيسة، حيث سيتم ابتداءً شرح المرتكز علمياً، ثم يُستنبط المبدأ التربوي الأكثر أهمية ووضوحاً من هذا المرتكز. ويمثل هذا أحد مستويات الدلالات التربوية للأصل النفسي للتربية الإسلامية في إطاره العام، وسيتبعه في المبحث الأخير مستوى تربوي أكثر تحديداً، يتمثل في انعكاساته التربوية على العملية التعليمية.

ولا بُدّ من التأكيد، على أن هذه الخطوة الثانية في دراسة الأصل النفسي للتربية الإسلامية، هي على درجة كبيرة من الأهمية؛ لكونها تمثل صلب مكونات الأصل، وعليها تتم عملية البناء التربوي وتطبيقاته، وبها تمتاز أصول التربية الإسلامية عن غيرها من أصول التربية العامة، وتفتقر عن رؤية سائر الفلسفات التربوية الإنسانية ونظرياتها. ولذلك فإنّ بيان تلك المرتكزات على درجة عالية من الأهمية والدقة العلمية. وقد اجتهد الباحث، وبَعْدَ نظر وتأمّل في نصوص الوحي وشروحها، والأدب النظري المتعلق بالموضوع، في تحديد جملة من المرتكزات (قواعد ونظرات مفاهيمية ثابتة) تشكل مجموعها حقيقة الأصل النفسي للتربية الإسلامية وتعبّر عن شخصيته.

المرتكز الأول: النفس الإنسانية مخلوقة إنساناً أصالةً.

أ- المقصود بهذا المرتكز: يقصد بهذا المرتكز أن النفس الإنسانية مخلوقة، وأنّ خالقها هو الله تعالى، وأنها خلقت إنساناً من أصلها منذ خلقها الأوّل، والذي ابتدأ بآدم عليه السلام، أبي البشرية جمعاء. وعليه، فليس للنفس الإنسانية من صفات الألوهية شيء؛ لأنّها مخلوقة وليست خالقة، وحادثّة وليست أزلية ولا قديمة، كما أنه ليس في نسبها من سلالة الحيوانية شيء، فلم تتطور عن سلالة القرود ولا غيرها، بل أوجدها الله منذ أوجدها بصفتها الإنسانية الكاملة، فلا تقبل بعد ذلك كل النظريات الداروينية وأشباهاها في أصل النفس الإنسانية. كما أنه -ضمن مفهوم هذا المرتكز- لا مكان لأبنة للاعتراف بغير الله خالقاً للنفس، وكل دعوى زعمت بغير هذا، ونسبت خلق النفس لكائن حيّ أو جماد أو صدفة أو خيال، فإنها باطلة مردودة.

لقد جاء وضوح هذا المرتكز في القرآن الكريم مع ابتداء نزول الوحي، لنقرّره حقيقة

يتعامل معها كلّ المؤمنين به، فقال تعالى: LT SR Q P ON ML KM

د. عدنان خطاطبة

(العلق: 1-2). فبينت الآيات عموم الخلق، ثم خصت خلق الإنسان [16-930]. وقال تعالى: **أَمْ أَمَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ** (الكهف: 51). كما بيّن القرآن جوانب من حقيقة خلق النفس الإنسانية، وهي "أن كل النفوس الإنسانية قد خلقت من نفس واحدة، وهي نفس آدم عليه السلام، ثم خلق الله سبحانه وتعالى من هذه النفس زوجته حواء، ونشر سبحانه من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها رجالاً كثيراً ونساء بطريق التوالد والتناسل. قال تعالى: **M ! " # \$ % & ' () * + , - . / 0 1 (النساء: 1)**" [13-180]. ومثلها قوله تعالى: **A M B C D E F** (الأعراف: 189). فهذه الآيات تقرّر أنّ النفس الإنسانية مخلوقة، ووحدة أصلها، ووحدة الإله الخالق للنفوس كلها؛ وبالتالي وحدة الإله المعبود من قبل هذه النفوس الإنسانية جميعها [17-108].

وبهذه الأدلة القطعية نتقرر حقيقة هذا المركز من مرتكزات الأصل النفسي، والذي يكشف لنا عن معارف صادقة عن النفس الإنسانية، تجعل نظرة التربية الإسلامية إلى أصل النفس وسرّ وجودها وتكاثرها واضحة وثابتة، وبعيدة كل البعد عن التخريصات والظنون والفلسفات التي تخبطت في الكشف عن واقع النفس الإنسانية في أول نشأتها ومن صاحب الفعل الذي جاء بها؛ ولذا كان هذا المركز هو المقدم من بين سائر المرتكزات؛ لأن صحته لازمة لغيره من المرتكزات، فهو اللبنة الأولى في البنيان المعرفي المتكامل عن النفس الإنسانية، وعمليات التعامل معها وتربيتها.

ب- المبدأ التربوي⁽¹⁾ في هذا المركز: يتضمن مركز "النفس الإنسانية مخلوقة إنساناً أصالة" المبدأ التربوي العام الآتي: "كرامة النفس الإنسانية في التربية الإسلامية". ومستقى هذا المبدأ هو النظر العميق في فحوى مركز "النفس الإنسانية مخلوقة إنساناً أصالة"، والتي تعني أن الذي خلق هذه النفس هو الله تعالى. فلمجرد كون الخالق للنفس هو الله سبحانه وتعالى فإن كرامتها تثبت لها، وتستحقها؛ لأنها من صنع الله تعالى لا من صنع الطبيعة الصماء، ولا الصدفة المعقدة، ولا

(¹) يؤكد الباحث - إضافة لما جاء في حدود الدراسة - أنه في نطاق دراسته هذه وأهدافها، فإنه اجتهد في استخلاص أكثر المبادئ التربوية التصاقاً وتضمناً في هذا المركز - وفي كل مرتكز سيأتي - وفي مستوى عمومي ونظري، ليتكامل مع التطبيقات التربوية (الانعكاسات) والتي تكون أكثر خصوصية وموجهة نحو العملية التعليمية. مع الإشارة إلى أنه يمكن استخلاص عدداً إضافياً من المبادئ سواء لهذا المركز أو لغيره. لكن حدود الدراسة وطبيعتها جعلت الباحث يختار ما ذهب إليه لمزيد من التركيز والتكامل في المبادئ وعدم التداخل بينها.

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

من مثلها من بني البشر. وهذا مبدأ راسخ من مبادئ التربية الإسلامية التي تنظر إلى أن الإنسان من حيث هو إنسان له "كرامة إنسانية" لا بُدَّ من أن يستشعرها بنفسه، وأن يتمَّ اعتبارها حين التعامل معه. ومستقى هذا المبدأ كذلك، من كون الله تعالى خلق النفس الإنسانية، إنسانيةً منذ لحظتها الأولى، فهذا تكريم كبير لها؛ لأنه لو كانت خلقت في أصلها حيواناً ثمَّ تطوّرت لإنسان لشعرت بالإهانة في مكانتها؛ لدونية مستواها، وهو ما أفرزته نظرية دارون التي أشعرت النفس الإنسانية- الغربية تحديداً- بأنها منحدره من أجداد قدماء هم القرود.

إن هذا الفهم هو قاعدة "مبدأ كرامة النفس" ومنطلقها الأول، ثمَّ تتلوه بعد ذلك أوجه التكريم العديدة التي تحدّث عنها القرآن الكريم وبيّنها فقه العلماء لنصوص الشريعة. ومن النصوص القرآنية المثبتة لهذا المبدأ قوله تعالى: $h g f e d c b a _ M$ $l o n m l k j i$ (الإسراء: 70). قال ابن عاشور: "والمراد ببني آدم جميع النوع. ومِنَّةُ التكريم مزيّة خَصَّ بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية" [6-164/15]. وقال القرطبي: "كرّمنا تضعيف كرم، أي: جعلنا لهم كراماً، أي: شرفاً وفضلاً. وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة" [8-293/10]، ثم بين عدداً من مظاهر التكريم، ورجّح أن التفضيل للإنسان، إنما هو بالعقل الذي هو عمدة التكليف [8-294/10]. وكل مظاهر التكريم التي تعمّ الإنسانية من إسجاد الملائكة لأبيها الأول آدم عليه السلام، وقوامة المظهر، وميزة المكونات والقدرات، وتسخير عوالم الأرض، وغيرها [18-283]، إنما هي من فضل الله تعالى الذي شاء لهذه النفس أن تُخلق بيديه الكريمتين، وأن ينفخ فيها الروح، ويجعلها إنساناً بكل خصائصه المعروفة. وهذا يحتم عليها أن تستشعر قدر هذه الكرامة وقدر من أكرمها بها، فتحافظ على مضمون هذه الكرامة بالاستجابة لمنهج ربّها سبحانه الذي أمدها بهذه الكرامة، وبالتربية على الخضوع لخالقها جلّ شأنه الذي أخضع لهذه النفس كثيراً من مخلوقاته.

المرتکز الثاني: النفس الإنسانية مزدوجة البنية ومتفاعلة المكونات.

أ- المقصود بهذا المرتکز: يقصد بهذا المرتکز أنّ النفس بمعناها العام (الإنسان ككل) أو (الشخصية الإنسانية) ذات بُنية ثنائية في أصلها، وممتزجة ومتفاعلة في مكوناتها الرئيسية. والحقيقة، أنّ التمكن من تحديد "بنية النفس"، أي: ممّ تتكون في أجزائها الرئيسية، يعدّ المفتاح الأهم لفهم طبيعة النفس، وسلامة التعامل معها، وصحة منهج تربيتها. ولذلك حرص الفلاسفة والتربويون وعلماء النفس قديماً وحديثاً على تقديم رؤيتهم لطبيعة النفس من حيث مكوناتها، وجاءت آراؤهم متضاربة وقاصرة، ما بين البعد الأحادي للنفس والثنائي والثلاثي، وما

د. عدنان خطاطبة

يبين الفصل بين هذه الأبعاد، أو حصرها في جانب دون الآخر، كالمادّي فقط، أو المعنوي فقط. ويرى الباحث أن الوصول إلى معرفة صادقة في فهم هذا المرتكز متوقفة على مدى الاعتقاد بالمرتكز الأول. وفي منظور التربية الإسلامية، فإنه لما كان خالق هذه النفس هو الله سبحانه وتعالى؛ فإنّ خبره لنا الذي أخبرنا به عن طريق الوحي المعصوم فيما يخصّ بنية النفس ومكوناتها هو العلم الصادق والمعتمد في فهم هذا المرتكز وتحديد معالمه بعيداً عن اجتهادات الإنسان غير المعصومة أو المتناقضة مع ما جاء به الوحي.

وعليه، فإنّ بنية النفس بمعناها العام، تتكون في أصلها من مكونين رئيسين، هما: الجسد، والروح، مصداقاً لقوله تعالى: $yxw v u t s r q p o n m l k m$ { z | } (ص: 71-72). قال السعدي: " (إذ قال ربك للملائكة) على وجه الإخبار، (إني خالق بشرًا من طين)، أي: مادته من طين، (فإذا سوّيته)، أي: سوّيت جسمه وتمّ، (ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)، فلما تمّ خلقه في بدنه وروحه، أمرهم الله بالسجود. امتثالاً لربهم وإكراماً لأدم عليه السلام" [16-716]. فبنية النفس الإنسانية لها مكونان رئيسان كما يقدر القرآن الكريم ذلك؛ مُكوّن: مادّي، ومُكوّن روحي، وبعبارة أخرى: جسد وروح [19-398]. ولكن ما هو مهم في إدراك طبيعة هذين المكوّنين، أنهما ليسا كيانين مستقلين في النفس الإنسانية بحيث يعمل كل منهما وحده، وبطريقة منفصلة عن الآخر، بل هما كيانان ممتزجان معاً ومتكاملان في وحدة متناسقة، ومتفاعلان معاً بطريقة معقدة، بحيث يتكون نتيجة ذلك الشخصية الإنسانية أو الطبيعة الإنسانية أو ذات الإنسان ونفسه الكلية التي نراها تسعى في الحياة [20-203]. فالقول بوجود مكونين للنفس يتكامل مع القول بأنهما مكونان متفاعلان، "فالجسم هو الجانب المادّي للنفس وله صفاته الخاصة به، وللروح صفاتها كذلك. غير أنّ النفس لها صفات تختلف عن صفات كليهما، فصفات الكلّ (النفس بالمعنى العام) لا تساوي مجموع صفات المكونين (الجسم والروح). فالقرآن الكريم ينظر إلى النفس البشرية نظرة كلية شاملة ومتكاملة، لا على أنها مجموعة مكونات" [21-45]. ولذلك، "المتتبع لآيات القرآن الكريم في خطابها الإنسان، يرى أنها تتناول الذات الإنسانية باعتبارها محصلة لمختلف القوى والقدرات التي زوّدها الله بها طبيعة الإنسان، سواء تلك القوى المادية التي تربطه بالأرض، وتلك القوى الروحية التي تربطه بالكون وبرب هذا الكون، وتلك القوى العقلية التي تمكنه من أن يختار من البدائل" [13-146]. أي أن الخطاب التربوي للنفس الإنسانية جاء متطابقاً مع النظرة إلى بنيتها الكلية المتفاعلة ذات البعدين المادّي

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

والروحي دون الفصل الجذري في نوعية الخطاب أو في الجزء المخاطب من كيان النفس. وهذا ما يؤكد مصداقية المرتكز وانبثاقه من المرتكز الأول.

ومما يتمّ به شرح هذا المرتكز هو القول بأن الكلام عن بنية النفس، قد يكون بالإجمال، بأن يُقال لها مكوناتان الجسد والروح، أو بنوع من التفصيل بأن يقال: لها أربعة مكونات: الجسم (الجسد) والروح والعقل والقلب، وإلى كلا الاتجاهين ذهب علماء المسلمين والباحثون التربويون والنفسانيون [22-174]. ولا تعارض بين الاتجاهين. ويقتضي شرح هذا المرتكز شيء من البيان عن هذه المكونات الرئيسية. فبالنسبة للجسم، فقد وردت كلمة الجسم في القرآن الكريم مرتين، في قوله تعالى في حق طالوت: $z \ y \ x M$ { ~ أَلْجَسْمِ وَالْجَسْمِ } (البقرة: 247)، والمراد بزيادة البسطة في الجسم، أي: الوفرة والقوة في البدن والقامة [23-490/2].

وكذلك في قوله تعالى في حق المنافقين: M وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَهِجُوا بِكَلِمَاتِ الْإِيمَانِ (المنافقون: 4). والجسم من مكونات النفس الإنسانية المهمة بحكم أنه الوعاء لباقي المكونات، ويمثل ملامح النفس الإنسانية الظاهرية [19-399]، وعناصرها المادية [13-56]. وأما بالنسبة للروح، فقد وردت عدة مرات في القرآن باعتبار دلالتها على أحد مكونات النفس الإنسانية، كما في قوله تعالى: M فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقُمُوا لَهُمْ سَجِدِينَ (الحجر: 29)، وقوله تعالى: M وَسَتُورُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي (الإسراء: 85)، وتعدّ الروح العنصر الأهم في مكونات النفس؛ لأنه بالروح تحصل الحياة للجسد، ويكون الإنسان إنساناً [24-56]. وهذه الروح حقيقية وليست خيالياً، وهي مخلوقة، وعين قائمة بذاتها، وليست من جنس البدن، ولا جزءاً من الذات الإلهية، ولها صفات أخبر عنها الوحي، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها، وموت النفس الذي يكون بخروج الروح من البدن لا يعني فناء الروح وعدمها، وهي تعود عند البعث إلى البدن [25-330/3]. وهذا الإثبات لمكون الروح والوصف الشرعي له المستمد من خبر الوحي، تنفرد به نظرة التربية الإسلامية إلى مكونات النفس عن كثير من الفلسفات التربوية الوضعية ونظريات علم النفس الغربيين التي أنكرت هذا المكوّن (الروح) باعتباره لا يدرك بالتجربة [26-50]. وهذا يعني وقوع انحراف شديد في فهم طبيعة النفس الإنسانية على حقيقتها التي جعلها بها خالقها سبحانه وتعالى، وبالتالي تقديم المناهج التربوية غير الشمولية في التعامل مع النفس وتربيتها والسعي للارتقاء بها. وأما بالنسبة لمكوّن "العقل"، فقد وردت مشتقات لفظة العقل في القرآن الكريم (49) مرة، بصيغ فعل العقل، مثل: تعقلون، ويعقلون، ونعقل وغيرها، ولم تأت مصدرأً قط، أي أن القرآن لم يذكر العقل باسمه العلمّ البتة، وكل الألفاظ الواردة تدل على عنصر التفكير وعملياته [27-207].

د. عدنان خطاطبة

وخلاصة مفهوم العقل في النصوص الشرعية أنه قوة مُدرِكة في النفس الإنسانية خلقها الله تعالى فيها [24-68]. وبها يميّز، ويقصد المنافع دون المضار، وهو ليس عيّنًا قائمة في النفس، بل هو عَرَضٌ أو صفة، أو غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين [25-338/18]. وبالنسبة لمكوّن "القلب"، فقد وردت لفظة القلب في القرآن الكريم في (132) آية، وتدور معانيها حول الجانب العاطفي والوجداني والعقلي في النفس الإنسانية، ولذا يُفهم القلب على أنه محلّ الهداية والإيمان والمعارف والإرادة [24-55]. وهو محلّ كذلك للأعمال الباطنة كالتوكل والمحبة والخشوع والوجل، وغير ذلك. وعلاقة القلب بالجسد قوية جدًّا، فالقلب هو الملك، والأعضاء جنوده، وإذا صلح، صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد، وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب، فالظاهر تابع للباطن [25-27/7]. وهذه المعارف الشارحة لمكونات النفس صادقة وعلمية لكونها مستمدة من الوحي، الذي أنزله الله تعالى وأخبر به عن تلك النفس التي خلقها بنفسه سبحانه وتعالى. وهذه العناصر وإن شرحت - بحدّ معين - وبأنّ شيء من كينونة كلّ منها وطبيعته، وخصوصية عمله ووظيفته، إلا أنه ينبغي فهم النفس الإنسانية بكل عناصرها الممتزجة والمتفاعلة، إذ عن هذا الكلّ يصدر سلوكها.

ب- المبدأ التربوي في هذا المرتكز يمكن من مرتكز "النفس الإنسانية مزدوجة البنية ومتفاعلة المكونات" استخلاص المبدأ التربوي الآتي: "التوازن في تربية الشخصية المسلمة". والمقصود به: أن تحدث عملية متوازنة في تربية شخصية المسلم تكون مستندة في توازنها التربوي هذا إلى مكونات النفس الرئيسية وطبيعتها وتفاعلاتها وامتزاج خصائصها. فتراعي التربية الإسلامية الجانب الجسدي والجانب الروحي والجانب العقلي والجانب الوجداني في شخصية المسلم، وذلك بأن تعطي كلا منها ما يستحقه وما يلائمه من الجرعات التربوية التي تعمل عنده حالة من التوازن في نفسيته والاعتدال والوسطية في سلوكه وبدنه.

وهذا التوازن المراعي لمكونات النفس وتفاعلاتها هو الذي يحقق إنسان التربية الإسلامية الوسطية، والمتحملي بالسلوك المعتدل [28-501]، وتمنع حدوث تضخم في جانب من جوانبه على حساب أخرى [29-151]، كما هو الحال عند الماديين أو الروحيين الذين ركّزوا على بعد واحد من أبعاد النفس دون غيره [30-194]. وهذا التوازن في شخصية المسلم هو ما يمكنه من التعامل الإيجابي مع الحياة، التي يُعدّ التوازن فيها سنة من السنن الربانية في ديمومتها وتحقيق الخير والنجاح فيها.

إنّ الفهم السليم لمبدأ التوازن في تربية الشخصية وتطبيقه وفق المنهج التربوي الإسلامي بناء على إدراك بنية النفس وتفاعلاتها، يقود إلى رؤية علمية ونفسية واقعية في تفسير السلوك

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

الإنساني الذي يصدر عن شخصية الإنسان. فالطبيعة المزدوجة والمتفاعلة لِنفس الإنسان، "تجعل جميع نشاطاته (سلوكاته) الروحية والجسدية نشاطات مزدوجة الطبيعة، ويصعب فرز نشاط روحي محض أو جسدي محض، ولا يمكن فهم نشاطات الإنسان بأحد المكونين دون الآخر، ولا بهما معاً منفصلين عن الآخر، وإنما يفهم السلوك الإنساني في ضوء هذين المكونين وفي سياق موحد، فالإنسان في كل نشاط يقوم به قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، يقوم بأنشطته الجسمية من طعام وشراب ونوم ونكاح بكيانه المزدوج، ويقوم بأنشطته الروحية من تفكير وصلاة ودعاء وصيام بكيانه المزدوج أيضاً" [31-153]. فالصلاة حركة جسم متطهر إلى جانب حركة روح متطلعة إلى خالقها سبحانه عن طريق الخشوع، والصيام امتناع الجسم وتقوى الروح [32-358/2]. فهناك الجانب الجسمي والجانب الروحي في هذه السلوكات ممتزجة متفاعلة [21-57]. فالشخصية الإنسانية حينما تستجيب لما حولها لا تستجيب بالجسم فقط، أو بالروح أو بالعقل فقط، وإنما تستجيب بكليتها، وقد أثبت العلم الحديث خطأ الثنائية في كيان النفس، واعتبرها تصوراً نظرياً [13-148]، ولذلك كان الخطأ الفادح الذي وقع فيه علم النفس الغربي هو محاولته فهم سلوك النفس الإنسانية بمكوّن واحد، وسعيه في اتجاه ردّ السلوك إلى وحدات أولية قابلة للملاحظة، واعتقاده بأن السلوك المعقد مركب من وحدات تخضع للملاحظة [31-153]. وعليه، فإنّ التربية الإسلامية حينما تسعى لبناء سلوك الشخصية المسلمة تكون مراعية لبنيتها النفسية المزدوجة والممتزجة، وحينما تريد تفسير السلوك الصادر عن النفس، تفسره على أساس هذا الكيان المزدوج والمتفاعل.

المرتکز الثالث: النفس الإنسانية مفطورة بفطرة الله

أ- المقصود بهذا المرتکز: يقصد بهذا المرتکز أن النفس الإنسانية على العموم وُلدت حاملة لفطرة الله تعالى التي فطرها عليها منذ أوجدها، وأنها تولد على هذه الفطرة، فهي ليست مكتسبة بعد ولادتها وقدمها إلى هذا العالم الدنيوي. بل هذه الفطرة هي من صنع الخالق سبحانه وتعالى الذي خلق هذه النفس، وهذا متنسق تماماً ومنطقي مع مقتضيات المرتکز الأول. فالله سبحانه هو خالق النفس، وله أن يجبلها على ما يشاء، ولولا الإيمان بأن الله هو خالق النفس لما أمكننا الوصول إلى معرفة يقينية وصادقة عن هذا المرتکز، والذي بالفعل يشكل نقطة فارقة مع كل النظريات المادية في علم النفس؛ لأنها لا تؤمن بالله خالق النفس، ولا بالوحي الذي جاء من عنده وأخبرنا ما أخبرنا عن هذه النفس، ومنها أنها مفطورة.

د. عدنان خطاطبة

ومن أدلة القرآن الكريم التي تقرر هذا المرتكز، وتثبت فطرية النفس الإنسانية، بوضوح وجلال، قوله تعالى: **M فَأَفْطَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** © **اللَّهُ أَنَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيَّهَا لَا بَدِيلَ لِمَلَقِي** (الروم:30)، وقد فسر ابن عباس وغيره من أهل العلم الفطرة بأنها الإسلام، ومعرفة الله وتوحيده والإيمان به [7-269/6]. فهذه مركوزة في النفس وتولد مجبولة عليها، سريعة القبول لها ولتفاصيلها إذا ما جاءها مزيد علم عنها. ولكن هذه الفطرة قد تتجمد فاعليتها في النفس ولا تقوى ولا تستقر بسبب مؤثرات خارجية سلبية، كما قررت ذلك السنة النبوية في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [صحيح البخاري 144/5: 1271]، وقد بين ابن حجر في شرحه لهذا الحديث أن أشهر الأقوال في معنى الفطرة هو الإسلام [9-619/3]. والمراد الإسلام العام، والمعرفة الفطرية بالله تعالى، لا تعاليم الإسلام وأحكامه [33-448]، فالإنسان يولد لا يفقه شيئاً، لقوله تعالى: **M** **أَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَطُونٍ** **أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (النحل: 78)، ولكن فطرته سلامة القلب وإرادته التي هي الإسلام [25-247/4]، فنفس الفطرة تستلزم معرفة الخالق والإقرار به وإخلاص الدين له [34-203/1]. فجوهر النفس مفطور على توحيد الله ومركز فيها معرفته سبحانه وربوبيته [35-141]. وهذا مرتكز أصيل من مرتكزات الأصل النفسي.

ب- **المبدأ التربوي في هذا المرتكز:** يمكن أن يأخذ الباحث من مرتكز "النفس الإنسانية مفطورة بفطرة الله"، أي: بما فطرها عليه من معرفته وتوحيده والإسلام له سبحانه، المبدأ التربوي الآتي: "أولوية التربية الإيمانية". بمعنى: أن عناية التربية الإسلامية بتربية جوانب الشخصية المسلمة، وبناء حياة المجتمع المختلفة يجب أن تعطى فيه الأولوية للتربية على حقائق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتدعيمها بالأدلة الشرعية والعلمية المختلفة. وهذا هو مقتضى هذا المرتكز المهم من المنظور التربوي الإسلامي، في حين أن الفلاسفات التربوية الوضعية التي استبعدت فطرية النفس على معرفة الله وربوبيته [32-359/2]، لم تُعَرِّ التَّربيةَ الإيمانيةَ أيَّ اهتمام، فضلاً عن أن تكون لها الأولوية.

المرتكز الرابع: للنفس الإنسانية نموها المرحلي.

أ- **المقصود بهذا المرتكز:** يقصد بهذا المرتكز أن النفس الإنسانية نفس نامية ومتطورة تحدث لها تغيرات كمية ونوعية في مختلف جوانبها ضمن مراحل عمرية تسير بها، ويتأثر عوامل محددة. ووفقاً للمنظور الإسلامي، فإن نمو النفس يسير ضمن المراحل الآتية: مرحلة الجنين، ومرحلة ما قبل التمييز، ومرحلة التمييز، ومرحلة المراهقة والبلوغ، ومرحلة الأشد [19-77].

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

وتعد المرحلة الجنينية من أهم مراحل النمو، وقد قسمها القرآن إلى مراحل فرعية، كما في قوله تعالى: M: e f hg i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ أَعْظَمَ لِحَمَائِمِ أَنْشَأَنَّهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ©

الْحَيَاتِيْنَ (المؤمنون: 12-14). ثم تليها مرحلة ما قبل التمييز، والتي لا يميز فيها الصبي بين ما يضره وما ينفعه، ومرحلة التمييز، والتي يميز فيها الصبي بين الضار والنافع ويعرف ما يدور حوله. ثم مرحلة البلوغ، ثم تأتي مرحلة الأشد والتي تمثل قمة مظاهر النمو العقلي والنفسي والجسمي والاجتماعي وغيره. وتبدأ من البلوغ حتى سن الأربعين. قال تعالى: M: 1 2 3 4 5 6 7 L (الأحقاف: 15) [19-90]. فمراحل النمو التي يحدث فيها تغيرات وتطورات في النفس الإنسانية وتسير به إلى الإمام تمتد من الحمل حتى النضج [21-90]. ونمو النفس الإنسانية بكل جوانبها هو عملية تراكمية و متمازجة و متدرجة، رغم أن لكل مرحلة منها خصائصها التي تميزها، والتي يشمل نموها المجالات النمائية الظاهرة والنمائية الباطنة في ترابط وتفاعل [19-408].

هذا النمو الإنساني بكل مجالاته ومظاهره ومراحله، يحدث للنفس بفعل عوامل مؤثرة فيها. وتصنف هذه العوامل إلى صنفين: عامل الوراثة وعامل البيئة، أو عامل النضج وعامل الخبرة. ويمثل عامل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند الإخصاب، في حين يمثل عامل البيئة جميع البيئات التي يتم فيها النمو، من بيئة الرحم، وبيئة الأسرة والمجتمع، والبيئة الطبيعية وغيرها. وهذه العوامل تختلف في درجة تأثير كل منهما في مظاهر النمو ومراحله، وهي تعمل بشكل مستمر ومتفاعل [21-91]. وقد تضمنت نصوص الشرع إشارة واضحة إلى هذين العاملين، فبالنسبة إلى عامل الوراثة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل لك من إبلٍ)، قال: نعم، قال: (فما ألوانها)، قال: حمراً. قال: (هل فيها أورك (أسمر)؟)، قال: إن منها لورقاً، قال: (فأنى أتاها ذلك). قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: (وهذا عسى أن يكون نزعه عرق) [صحيح مسلم 311/4: 3839]. وبالنسبة إلى عامل البيئة، فأدلته كثيرة، ومن أوضحها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء) [صحيح البخاري 1296: 182/5]. فظاهر أن البيئة الأسرية والاجتماعية بمختلف عناصرها وأدواتها هي

د. عدنان خطاطبة

التي تتسبب في انحراف النفس الإنسانية عن فطرتها السليمة، وتوحيدها الخالص، لتلتبس في برائش الشرك والفساد.

ب- **المبدأ التربوي في هذا المرتكز:** يمكن من مرتكز "النفس الإنسانية نموها المرحلي" استخلاص المبدأ التربوي الآتي: "تلبية مطالب النمو المناسبة". بمعنى: أن يقوم الآباء والمجتمع بتوفير ما يناسب كل مرحلة من مراحل النمو ومظاهرها من كفايات مادية ومعنوية، تساعد في سير عملية نمو النفس الإنساني بشكل سليم ومتزن ومتكيف مع محيطه بشكل إيجابي، تُمكنها من القيام بدورها المنوط بها في جميع مراحل نموها.

فمثلاً، لمرحلة الحمل مطالبها المناسبة لها، فعلى الأم أن تحرص على تناول الغذاء المناسب لجنينها، وأن تحفظ له حق حياته، فلا يجوز لها إسقاطه، ولا فعل ما يؤدي لذلك أو ما يضره، والمحافظة على انفعالاتها بصورة متزنة. ولمرحلة الولادة والطفولة مطالبها، حيث يُعق عن المولود، ويسمى باسم حسن، ويرضع بلبن الأم، ويؤذن في أذنه، ويُحنك ويخُتن، ويعامل بلطف وحنان، ثم في مرحلة التمييز إلى البلوغ يُعلّم الصلاة ويؤدب ويعلم العلوم الشرعية وغيرها، ويأخذ حقه في جانب الترفيه والتربية النفسية والاجتماعية وغير ذلك. وأما في مرحلة البلوغ وما بعدها، فيدخل في مرحلة التكليف وتتسع مطالب النمو الديني والمعرفي والاجتماعي، ويحرص على توجيه انفعالاته وطاقاته وتوازن شخصيته، كما يُعنى بتوفير البيئة الصالحة، ويحمل المسؤولية، ويركز على تربيته العقلية والعلمية، وتحقيق الكفاية المالية، وغير ذلك من مطالب النمو التي تناسب كل مرحلة، والتي تحدت عنها العلماء قديماً وحديثاً، وجاءت النصوص الشرعية ببيان أهمها، وقد قدّم العلم الحديث تفاصيل واسعة فيها، ليس هذا محل بيانها، ولكن المقصود تقرير فكرة المبدأ.

المرتكز الخامس: للنفس الإنسانية حريتها واستعداداتها

أ- **المقصود بهذا المرتكز:** أن النفس الإنسانية في المنظور الإسلامي لها حرية وإرادة واختيار ثابتة في كينونتها، ومزودة باستعدادات وقدرات وإمكانات في أن تنفذ حريتها هذه، فتفعل أو لا تفعل. وأن هذه الحرية والاستعدادات التي تتمتع بها النفس الإنسانية هي منحة إلهية، وهبها لها خالقها سبحانه وتعالى.

ولقد قرّر القرآن الكريم حرية النفس الإنسانية وأثبت لها مشيئة خاصة بها، ومستقلة عن غيرها من الذوات الإنسانية، كما في قوله الله تعالى: **M لِنَ شَأْ مِكْرٍ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَخَّرُّ** (المدثر: 37)، وقوله تعالى: **t s r q p o m l k j i h g f e M**

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

LU (الشورى: 20)، وقوله تعالى: @ L F E D C B A (يونس: 99). ولكن هذه الحرية للنفس الإنسانية ليست مطلقة بصورة كلية، بل هي مرتبطة بإرادة الله تعالى، وخاضعة لمشيئته وسننه الإلهية، كما دلّ على ذلك قوله تعالى: L M L K J I H M (الإنسان: 30)، وهي كذلك حرة لا تعمّ كل جوانب الحياة الخاصة بالنفس والعامّة بالكون؛ لأن النفس الإنسانية في العقيدة الإسلامية مسيرة في جوانب كالولادة والنسب واللون والمرض والموت، وهي الجوانب الأقل، ومخيرة في جوانب أخرى، كالأكل والتعليم والعمل وغيرها، وهي الجوانب الأكثر، وذلك كما في قوله تعالى: M وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (لقمان: 34)، وقوله تعالى: M * + , - . / 1 0 2 (البقرة: 38).

كما قرر القرآن الكريم كذلك أنّ للنفس الإنسانية استعداداتها وقواها وملكاتا التي زوّدها الله بها؛ لتمتلك بها القدرة والإمكان على الفعل والترك (السلوك) في هذه الحياة الدنيا [24-36]. قال تعالى: M 9 8 : ; < = > L (لشمس: 7-8). فزوّد الله النفس بقوى بدنية وعقلية ومعنوية، وبطاقات كامنة وجدانية وأدوات حسيّة، وغير ذلك مما يشهد به حال النفس، ويؤكد القرآن الكريم، كما في قوله تعالى - على سبيل المثال: M μ ¶ بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (النحل: 78)، وقوله تعالى: L q p o n m l k j i h M (البلد: 8-10). وعلى النفس الإنسانية أن تسلك بهذه الاستعدادات والقوى والملكات سبيل الله تعالى الذي خلقها، وحبّها بها.

ب- المبدأ التربوي في هذا المرتكز: ينطوي مرتكز "للنفس الإنسانية حريتها واستعدادها" على مبدأ تربوي يتمثل بالآتي: "قابلية النفس لتعديل سلوكها ومسؤوليتها عنه". ووجه ذلك، أنه إذا قبلنا القول بأن للنفس حرة ومشيئة، وهي مزودة باستعدادات وقوى، تتمكن من خلال كل ذلك أن تختار في الشيء بين أن تفعله أو لا تفعله، فمعنى ذلك أن لديها قابلية قوبلة لتغيير أحوالها، وتعديل سلوكياتها، بإرادتها التي اختصت بها، وبالقوى التي تملكها، فالقرار قرارها، وهذا بالتالي يجعلنا نرتب عليها تبعات تلك القرارات التي اتخذتها، وتحملها لنتائجها، أي: أنها مسؤولة عن اختيارها.

وإن قابلية النفس لتعديل سلوكها المادي والمعنوي؛ بقابليتها "لتعديل المعتقدات والتصورات والمفاهيم والمواقف هي مناط الرسالات السماوية التي جاءت لتعديل المعتقدات والتصورات والمفاهيم الخاطئة اعتماداً على كون الفكر البشري قابلاً لإعادة التشكيل" [37-83]، ومن هنا كان

د. عدنان خطاطبة

"التكليف" الذي جاءت به الشريعة الإسلامية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتركيبية النفس الإنسانية، فلو لا وجود حرية للنفس ومرونة وقدرة على الفعل لما وجدت التكليف أصلاً، وهنا في منظور التربية الإسلامية يظهر الاتفاق مرةً أخرى وبوضوح بين مرتكز كون الله خالق النفس بكل خصائصها وطبيعتها وكونه سبحانه وهو الذي أنزل لها الوحي لتسلك من خلاله سواء السبيل، وقد قرّر القرآن هذه المعادلة المركبة بقوله تعالى: ﴿مَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (٣٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (طه: 123-124)، وقوله تعالى: ﴿م: 8﴾ 9 : ; < = > @ ? C B A E D G F H L (الشمس: 7-10).

ومن هنا، كان لهذا المبدأ التربوي دوره الفاعل في تربية نفس الإنسان، حيث ارتبطت تربيته بمسألة رئيسة هي حريته، ومسؤوليته عن تصرفاته، فعندما يتصرف المرء وفق إرادته، ويكون قادراً على اختيار السلوك المناسب، تصبح تربيته أمراً ممكناً، أما إذا كان الإنسان مسلوب الإرادة فإن تربيته تصبح أمراً مستحيلًا [38-113]، ومن هنا تحرص التربية الإسلامية على صحة النظرة إلى النفس الإنسانية ابتداءً، فتنبت لها حريتها، لتكتمل الطريق تالياً، فتقنعها بإمكان تربيته وتعديل سلوكها. كما وترفض التربية الإسلامية كل تلك الآراء التي تنادي بالجبرية أو بالقول بأن النفس مطبوعة على الشرّ أو الخير ولا يمكن تعديلها، سواء أكانت تلك الآراء قديمة أم حديثة؛ لأنها في المحصلة تقف في وجه عملية التغيير وتصد تيار الإصلاح، وتعطل مشروع الرسالة السماوية في إقامة منهج الله في الأرض، ومحاسبة النفس في الدنيا. فهذا المبدأ التربوي يدفع بالنفس الإنسانية باتجاه الفاعلية والإيجابية لا السلبية والتواكيفية.

المرتكز السادس: للنفس الإنسانية صفاتها المختلفة وأصولها المتعددة

أ- المقصود بهذا المرتكز: يُقصد بهذا المرتكز أن الله تعالى خلق النفس الإنسانية بحيث تتصف بصفات متفاوتة الكم والنوع، سواء أكانت صفات مادية وجسمية أم باطنية ومعنوية، وبأحوال متعددة تكون عليها النفس بشكل عام، ما بين حال إيجابية وأخرى سلبية.

فالنفوس الإنسانية مختلفة الصفات الجسمانية من طول ووزن ولون وما يتصل بالمظهر، ومختلفة القدرات العقلية في فهم الحوادث واستخلاص العبر واكتساب المعارف والخبرات وتحليل المواقف، وقوى التذكر والتحليل والإبداع وغيرها، ومختلفة الصفات الوجدانية كذلك، من ميول واتجاهات، وانفعالات وإحساس ومشاعر، ومختلفة الصفات المهارية في إتقان الشيء وسرعة الإنجاز [26-39]، وغير ذلك من مجالات الصفات والسمات التي يمكن أن تختلف فيها النفوس

د. عدنان خطاطبة

توجه صاحبها بما تهواه من شهوات [10-41]. وهذه أحوال النفس الثلاثة، هي متفاوتة من ناحية في قوتها وضعفها، كما أنّ أحوالها هذه ليست ثابتة، بل قابلة للتغيير والانتقال من حال لأخرى بحسب ما يؤثر فيها من عوامل داخلية وخارجية.

ب- المبدأ التربوي في هذا المرتكز: يمكن أن يستخلص من مرتكز "للنفس الإنسانية صفاتها المختلفة وأحوالها المتطورة" المبدأ التربوي الآتي: "مراعاة الفروق الفردية في عملية تربية النفس الإنسانية". بمعنى، بما أنّ هناك اختلافات في صفات النفس وقواها المادية والمعنوية، وتعدّداً في أحوالها التي تكون عليها، وبما أنّ العملية التربوية تعني إحداث تغيير مرغوب فيه في النفس، فلا بدّ إذن من مراعاة هذه الاختلافات ومستوياتها في نفوس المتربين ومن نتعامل معهم، فما يصلح لنفس قد لا يصلح لأخرى، وقوة ما يقدّم لنفس قد لا يناسب ما يقدم لأخرى.

والمقصود بالفروق الفردية هو "اختلاف أية مجموعة فيما بينهم في أية سمة من السمات أو صفة من الصفات" [23-39] ، وتفهم إجرائياً بكونها "مجموع الانحرافات لسمة أو لصفة أو أكثر عن المتوسط العام للسمات أو الصفات" [24-39]. ونظراً لاختلاف الناس في إمكانياتهم المادية والمعنوية، فإن التكاليف الشرعية جاءت مراعية للفروق الفردية بين الناس، بحيث لا يكلف إنسان إلا بما يستطيع ويقدر، يقول تعالى: *لَا يُكَلِّفُ مَنَّا إِلَّا وُسْعَهَا* (البقرة: 286) [110-30]. وفكرنا التربوي الإسلامي نظر إلى هذه الفروق الفردية على أنّها من سنن الله في خلقه، وأنها ضرورية لتوجيه الناس حسب ما يناسبهم من أعمال، وفق طاقاتهم وقدراتهم وتشويقهم للسير في الطريق التي يحقق فيها سعادته النفسية من خلال إتقانه للمعرفة أو للمهنة التي يرغب بها أكثر من غيرها [21-104] ، والدفع بالنفس كذلك حتى تترقى نحو حال الكمال، لا أنّ تبقى في أحوال مذمومة أو منقوصة.

المرتكز السابع: النفس الإنسانية مدفوعة السلوك.

أ- المقصود بهذا المرتكز: يقصد بهذا المرتكز أنّ للنفس الإنسانية سلوكها المتنوع الذي يصدر عنها، وأن هذا السلوك الصادر عنها بكل أنواعه له دوافعه التي تقف وراءه. أي أنّ سلوك النفس الإنسانية سلوك مدفوع، له دوافعه التي تستشيره وتحركه.

ويقتضي هذا المرتكز توضيح معنى السلوك ومعنى الدافعية. فبالنسبة للسلوك بالمفهوم المرتبط بالنظرية الإسلامية إلى الطبيعة الإنسانية من حيث بنيتها ومكوناتها، فإن سلوك النفس الإنسانية يُفهم على أنه "محصلة التفاعل بين المكونين المادي والروحي للنفس" [31-53] ، ويشمل السلوك الباطني، ومحله القلب بانفعالاته وعملياته، والسلوك الظاهري، ومحله الجوارح

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

بأقوالها وأفعالها، أي: هو جميع النشاطات والاستجابات الباطنة والظاهرة التي تصدر عن النفس الإنسانية، فالمحبة سلوك، والضرب سلوك. وكل نوع من أنواع "السلوك لا بد أن يكون وراءه دافع، ولا يوجد سلوك إنساني دون دافع يدفعه. ودافعية السلوك تتعلق بالسؤال لماذا يسلك الكائن الحي في موقف معين بطريقة خاصة؟ ويمكن تعريف الدافعية، بأنها قوة ذاتية تحرك السلوك وتوجهه نحو تحقيق هدف معين، وتحافظ هذه القوة على دوام ذلك السلوك ما دامت الحاجة قائمة لذلك. فيستخدم مفهوم الدافعية للإشارة إلى ما يحض الفرد على القيام بنشاط سلوكي معين، وتوجه هذا النشاط نحو وجهة معينة. وتستثار الدافعية بعوامل داخلية من الفرد نفسه (حاجاته وخصائصه وميوله واهتماماته)، أو من البيئة المادية أو النفسية المحيطة به (الأشياء والأشخاص والموضوعات والأفكار والأدوات) وغيرها" [42-155]. وعليه، فالسلوك الصادر عن النفس الإنسانية له باعث يبعث عليه، فلا سلوك بلا باعث. فالنفس الإنسانية مدفوعة السلوك.

وفي منظور التربية الإسلامية، فإنه تم تصنيف الدوافع، سواء إلى دوافع فسيولوجية ودوافع اجتماعية، أم إلى دوافع داخلية وخارجية [42-165]، فإن أهم ما تمتاز به عن غيرها من النظريات التربوية الوضعية، هو اعتبارها للدوافع الإيمانية [43-226] وراء سلوك النفس الإنسانية المؤمنة بالله تعالى. ويُعد هذا النوع من الدوافع الأقوى تأثيراً في تنشيط النفس المؤمنة وحدوث الاستجابة لديها. وهذا واضح كما في قوله تعالى: $u t s r q p M$

LW V (البقرة: 207)، وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة، أو أدخله الجنة) [صحيح البخاري 63/1: 35]، فهذه النصوص توضح أن النفس الإنسانية المؤمنة تقوم بأرقى أنواع السلوك وأنفسها وأنبليها، ولا يكون دافع يدفعها لمثل هذا السلوك الباهظ الثمن إلا دافع الإيمان ورضوان الله تعالى.

ب- المبدأ التربوي في هذا المرتكز: المبدأ التربوي الذي يتطلبه مرتكز "النفس الإنسانية مدفوعة السلوك"، هو مبدأ "تربية الدوافع". والمراد بهذا المبدأ، أن تتم عملية توجيه مناسبة لدوافع النفس الإنسانية وضبط لحدودها، وإحداث حالة من الاتزان عند تصارع الدوافع في النفس الإنسانية، بحيث تحصل عملية إشباع لها معتدلة، وذلك وفق منظور تربوي إسلامي.

والتربية الإسلامية للدوافع تكون أولاً، بإحداث حالة من التوازن بين الدوافع المختلفة للنفس الإنسانية، بحيث لا يطغى أحد هذه الدوافع على سلوك النفس على حساب الدافع الآخر [43-227]. فلا تطغى الدوافع الفسيولوجية على الدوافع الاجتماعية، ولا الدوافع المادية

د. عدنان خطاطبة

على حساب الإيمانية [40-251]. ثم تكون ثانياً، بإشباع الدافع الواحد بصورة متزنة، بحيث ينظم إشباعه، ويوجهه، ويتحكم فيه، دون إفراط ولا تفريط. فتصبح النفس مسيطرة على الدافع، لا الدافع مسيطر على النفس [20-50]، وتكون عملية إشباع الدافع مشروعة [44-270]. فمثلاً، دافع الجوع، يتم إشباعه بالأكل الحلال، وبدون إسراف وتبذير، كما لا يسمح بمنع هذا الدافع وبالزهد الذي يؤدي إلى حرمان النفس من الطعام. وكذلك الدافع الجنسي، يكون إشباعه بالزواج المشروع لا بارتكاب فاحشة الزنا، ولا يسمح كذلك بكبت هذا الدافع، بمعنى منعه وإنكاره [20-51]. فهناك فرق بين الكبت الذي يصادر قوة الدافع والتربية له التي تنظمه وفق معطيات الشرع الحكيم.

المرتکز الثامن: النفس الإنسانية ذات نزعة فردية جماعية

أ- المقصود بهذا المرتکز: أن النفس الإنسانية في التصور الإسلامي، ذات ميول نحو الفردية (الأنا) والجماعية (الأخر) في الوقت نفسه، وأنه يستحيل على الطبيعة النفسية السليمة أن تتزعزع كلياً باتجاه الفردية أو تعالي به على حساب الجماعية، ولا أن تتزعزع كلياً باتجاه الجماعية على حساب الفردية أو الذاتية.

وتفهم النزعة الفردية في النفس الإنسانية، بأنها الاعتداد بالنفس، والحفاظ على ذاتها واستقلالها. والجماعية، بأنها الميل إلى العيش في الجماعة. وكلا النزعتين من تكوين طبيعة الإنسان. فالفردية جزء أصيل في كيان الإنسان؛ ولهذا يحب ذاته، ويميل إلى إثباتها وإبرازها، ويرغب في الاستقلال بشؤونها الخاصة، ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية إلى الاجتماع بغيره [45-25]. فهناك إحساس مزدوج في نفس الإنسان، إحساس بفرديته، وإحساس بالميل إلى الاجتماع مع بني جنسه، وهذه النزعة المزدوجة لها أثر بالغ في حياة الفرد والمجتمع [46-176].

وقد تضمن القرآن الكريم تقريرات واضحة لهذه النزعة المزدوجة في كيان النفس الإنسانية ما بين الميول الفردية والجماعية. فقررت آيات القرآن الكريم فردية النفس، كما في قوله تعالى: **م وَأَنْفُسًا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** (البقرة: 48)، وقوله تعالى: **م وَعَمَلٌ** **فَلِنَفْسِهِ** (فصلت، 46)، وغيرها من الآيات. كما قررت آيات القرآن الكريم في الوقت ذاته جماعية النفس، كما في قوله تعالى: **م وَيُؤْتِيهِمْ عَلَيْهَا أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّ حَشْرٍ** (الحشر: 9).

هذا الوضوح في المنظور القرآني لفردية النفس وجماعيتها في آن واحد، هو ما لم تستطع أن تتصوره ولا أن تترجمه على أرض الواقع تلك الفلسفات التربوية الوضعية التي توزعت بين فلسفة تتبنى النزعة الجماعية على حساب الفردية كما في الشيوعية، وفلسفة تتبنى الفردية على حساب الجماعية كما في الرأسمالية. في حين أن المنهج القرآني التربوي عمل على تربية تلك

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

النزعتين معاً في النفس الإنسانية، بحيث تُنمي النفس ذاتيتها وقدراتها ومكاسبها في النطاق الاجتماعي والعمل المجتمعي، وهي تسهم في إفادته والنهوض به في آن واحد، وجعل من هذه الجماعة أدوات لتقويم الفردية ومحاسبتها، ومحاضن لتربيتها والحفاظ عليها. وهذه هي ميزة التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب- **المبدأ التربوي في هذا المرتكز:** ينطوي مرتكز "النفس الإنسانية ذات نزعة فردية وجماعية"، على المبدأ التربوي الآتي: "الاتصال الإنساني المعتدل". والمراد بهذا المبدأ أن تتحقق عملية اتصال النفس الإنسانية- ذات الطبيعة الفردية والجماعية- بغيرها من أفراد المجتمع الإنساني بصورة تتسم بالانزان والوسطية. بحيث تُعطي كل ذي حق حقه. فنتواصل نفس الإنسان مع محيط الأسرة، ومحيط الجيران والأصدقاء، ومحيط الوظيفة والعمل، والبيئة الاجتماعية، بشكل إيجابي، من حيث الاعتدال في الوقت، والاعتدال في تبادل الآراء، والاعتدال في الانفعالات، والاعتدال في الأخذ والعطاء المادي، مع مراعاة المحافظة على الذات النفسية أو الشخصية الفردية من الذوبان في شخصية الآخرين، وانحاء التميز الخاص بشخصية المسلم، وبذلك يصبح المجتمع الإسلامي بكل مكوناته الإنسانية مجتمعاً إيجابياً، ونامياً، يقوم على عطاء الفرد المتميز بشخصية والمتعاون مع غيره.

المرتكز التاسع: النفس الإنسانية مُعَيَّاة الوجود

أ- **المقصود بهذا المرتكز:** يقصد بهذا المرتكز أن للنفس الإنسانية غاية كبرى من وجودها في هذه الحياة، وهذه الغاية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمرتكز الأول الذي يشير إلى أن النفس الإنسانية مخلوقة، وأن خالقها هو الله تعالى، وبالتالي فمن حقّ الذي خلق النفس وأوحدها وزودها بالحريّة والقوى ومكّن لها في الأرض أن يضع لهذه النفس غاية تتناسب مع طبيعتها وبنيتها، بحيث يكون تحقيق هذه الغاية من قبل النفس منسجماً تماماً مع ما جُبلت عليه، ويجعل النفس في حالة ارتياح وطمأنينة لكونها تعاملت بشكل صحيح مع تلك الغاية. وقد حدد الخالق سبحانه لهذه النفس المخلوقة الغاية الكبرى من وجودها في قوله تعالى: $LH \quad GF \quad E \quad D \quad C \quad M$ (الذاريات: 56)، يقول السعدي في هذه الآية: "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبه، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى؛ فإنّ تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل" [16-813]، فتحقيق الغاية مرتبط بسعادة النفس باطنياً وظاهراً، وهذا مقصود تربوي أصيل.

د. عدنان خطاطبة

إن هذه الغاية الكبرى من وجود النفس الإنسانية متناسبة مع تكريم الله للنفس الإنسانية، بأن خلقها سبحانه، وأحسن تصويرها، وميزها وفضلها على كثير ممن خلق بالعقل وبالإرادة وبالوحي المنزل، وبتسخير الكون [29-164]، وتتفق مع سنة الله تعالى في الحق المتضمن لخلق النفس والكون معاً بعيداً عن الباطل والعبث، فقال تعالى في حق النفس الإنسانية: M ~ **أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا** L (المؤمنون: 115)، وقال في حق الكون الذي سُخِّرَ لهذه النفس وارتبط وجودها به: NM P O R Q S LT (الأنبياء: 16). وهذا هو الغاية النبيلة من وجود النفس بهذه الارتباطات الوجودية لم تعرفها النظريات التربوية الوضعية، التي رأى بعضها أن الغاية من وجود النفس الإنسانية هي تحقيق رغبات النفس، ورأى بعضها الآخر أن الغاية هو التفوق، ورأى آخرون أنها إشباع حاجات النفس وتحقيق الذات [47-11]، وغيرها من الغايات التي ارتبطت بأصول النظرة إلى النفس الإنسانية، والمرتهنة بكل تأكيد إلى الحدود الدنيوية والمادية، بعيدة عن حقيقة التصور لتلك النفس، والمستمد من المنهج الإلهي.

ب- **المبدأ التربوي في هذا المرتكز:** يمكن أن يستمد من مرتكز "النفس الإنسانية مُعْيَاة الوجود"، المبدأ التربوي الآتي: "للتربية أهدافها العليا". والمراد بذلك، أن تعمل هذه الغاية الكبرى من وجود النفس الإنسانية على تحديد الأهداف العليا التي تتوخى العملية التربوية الإسلامية تحقيقها في النفس والمجتمع؛ لأن النفس هي المقصودة بالتغيير، والتربية هي عملية تغييرية مرغوب فيها، وعليه، فلا بد أن تكون هناك جملة من الأهداف التربوية العليا المستمدة من تلك الغاية (العبودية)؛ مثل: هدف تركية النفس، وتعليمها، وتنمية المجتمع، وإعمار الكون، وبناء الحضارة، وغيرها من تلك الأهداف التي تدور في النهاية في فلك تلك الغاية الكبرى، وتعمل على تحقيقها.

المرتكز العاشر: النفس الإنسانية محدودة المصير.

أ- **المقصود بهذا المرتكز:** يقصد بهذا المرتكز أن للنفس الإنسانية التي وجدت بفعل الخالق سبحانه وتعالى لها في هذه الحياة، مصير محدد لها، لا محالة ماضية فيه، ومقضي عليها. وهذا المصير المحدد للنفس، هو حقيقة ثابتة وسنة من سنن الله في الأنفس، الذي هو سبحانه خلقها، وابتدأ وجودها، ووضع النهاية لها.

ووفقاً لمقررات القرآن الكريم فإن محدودية المصير للنفس الإنسانية تتمثل في واقعين اثنين: الأول: هو فناء هذه النفس من على وجه الأرض، وذلك بموتها المقضي عليها من قبل خالقها سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: LP O N MM (العنكبوت: 57). والثاني: هو خلودها الأبدي في مستقرها في الدار الآخرة، وهذا الخلود قد يكون بسعادة أبدية، وقد يكون بشقاء

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

أبدي. كما في قوله تعالى: **م وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا ۖ وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** L (الأعراف: 42)، وقوله تعالى: **M** _ ` b a d c f e g h i j k L (المائدة: 80). ومصير النفس في الدار الآخرة مرتين بسلوكها الدنيا.

ب- المبدأ التربوي في هذا المرتكز: يمكن من مرتكز "النفس الإنسانية محدودة المصير" أخذ المبدأ التربوي الآتي: "مبدأ الاستغلال الإيجابي للفرص المتاحة". بمعنى أن التربية الإسلامية تدعو الشخصية المسلمة إلى أن تنتهز كل فرصة تتاح لها من وقت فراغ، أو وفرة مال، أو موقع وظيفي متميز، أو غير ذلك مما قد تظفر به، بالعمل النافع، وبذل المعروف، وتقديم الخير، سواء أكان للنفس أم للآخرين، بغية استثمار "فرصة العمر المحدود"، الذي بانتهائه يتوقف نشاط النفس، وينتهي مصيرها الأول. وعلى أساس الانتهاز الذكي والعمل الطيب في فرصة المصير الأول، يتحدد حال النفس في مصيرها الثاني والأخير، وهذا فيه دعوة إلى أن تسلك النفس السبيل الذي بيّنه له خالقها سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على العملية التعليمية

تعدّ النفس الإنسانية الميدان الرئيس الذي تعمل فيه التربية والتعليم بمختلف مستوياتها وعملياتها. ولذلك كان للنفس أهمية كبيرة لدى المشتغلين بالمجال التربوي والتعليمي [48-255]، بحيث أصبح فهم طبيعة النفس البداية الأساسية لانطلاق العمل التربوي والتعليمي [49-83]، وكانت المعادلة، أنه كلما تمت عملية فهم النفس بكل مكوناتها وأبعادها بطريقة أكثر بصيرة، كانت نتائج العملية التربوية والتعليمية أقوى نجاحاً وسلاماً. ومن هنا جاء هذا المبحث ليدرس انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على العملية التعليمية، بعد أن تقدّم في المباحث السابقة ببيان التصور الإسلامي المتكامل للنفس، بعرض مفهومها ومجموعة المرتكزات العشرة المعبرة عن طبيعتها، واستخلاص المبادئ التربوية العشرة المتضمنة فيها، والتي قدمت الدلالة التربوية في مستواها العام لمرتكزات الأصل النفسي. ولذلك سيكون تركيز هذا المبحث في بيان الدلالة التربوية لتلك المرتكزات في مستوى أكثر تحديداً يتجه إلى العملية التعليمية، حيث يتم فيه تحليل انعكاسات المرتكزات ومبادئها في مجالات العملية التعليمية كالأهداف والمحتوى والمعلم والمتعلم والإدارة، ضمن المجال المسموح به في هذه الدراسة، وبما يتماشى مع طبيعتها وأهدافها، وذلك على النحو الآتي:

د. عدنان خطاطبة

أولاً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على مجال الأهداف.

يُنظر للأهداف التربوية والتعليمية على أنها تغييرات مرغوبة في سلوك المتعلمين وفي جوانب شخصياتهم المختلفة، يتم تحقيقها من خلال مجهودات العملية التعليمية [50-267]. ولكن هذه التغييرات يجب أن تكون مرغوبة ومقبولة وفق معايير الشريعة وقيم المجتمع المسلم؛ لأنها تغييرات تخص المتعلم المسلم ونفسه. وينحصر الهدف التربوي النهائي (الغاية الكلية) للعملية التعليمية، بتحقيق المتعلم لعبودية خالقة والفوز برضوانه سبحانه وتعالى. وتبعاً لذلك، تكون جميع أهداف العملية التعليمية الأخرى، وبكل مستوياتها القريبة والبعيدة، والجزئية والكبيرة، تصب في نهاية المطاف في تحقيق هذا الهدف الكلي والنهائي. وهذه هي "الغائية" من وجود النفس الإنسانية بحسب مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية، وهذا ما تفرضه على رؤية الأهداف التربوية للعملية التعليمية.

وينبغي أن تعمل الأهداف التعليمية على تحقيق تنمية متكاملة لشخصية المتعلم من كل جوانبها، بما يتلاءم مع مكونات النفس الإنسانية المادية والمعنوية، بحسب التصور الإسلامي الشمولي لها، وأن تراعي العملية التعليمية تبنى الأهداف الفردية والأهداف الجماعية، والعمل على تحقيقها في شخصية المتعلم، تماشياً مع النزعة والميلول الفردية الجماعية للنفس الإنسانية. والعملية التعليمية المنطلقة من الأصل النفسي للتربية الإسلامية تجمع في رؤيتها للأهداف بين الأهداف المادية والمعنوية، والأهداف الدنيوية والأهداف الأخروية، والأهداف القريبة والبعيدة، موافقة في ذلك طبيعة النفس، ومحدودية مصيرها، ووضوح غايتها. كما تجمع أهداف العملية التعليمية بين الأهداف الوجدانية والإيمانية، والأهداف المهارية، والأهداف المعرفية، انسجاماً مع نظرة التربية الإسلامية إلى بنية النفس الإنسانية [50-272]، والتي تشمل: الجسم والروح والعقل والقلب. ولا شك أن لكل منها ما يناسبها من الأهداف التربوية التي لا بُدَّ من مراعاتها خلال عملية التعليم. كما تطبق مبدأ التدرج في تحقيق أهداف العملية التعليمية، أخذاً من التدرج في نمو النفس الإنسانية. وتوازن بين الأهداف المراد تحقيقها من العملية التعليمية بمختلف أنواعها ومستوياتها؛ لأن هذا هو الضمانة لمخرجات تعليمية تتصف بالاعتدال والصحة النفسية.

ثانياً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على مجال "معايير" المحتوى

لا تتم العملية التعليمية إلا بتوافر جميع عناصرها، ومن بينها المحتوى التعليمي، والذي تخضع عملية إعداده لمجموعة الضوابط والمعايير التي يضعها لجنة من الخبراء والعلماء في مختلف ميادين التخصص العلمي والنفسي والشرعي والاجتماعي. ووفقاً لمرتكزات الأصل

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

النفسي للتربية الإسلامية، فإنّ من أقوى المرتكزات التي تشكل معياراً علمياً، وضرورة إنسانية هو مرتكز مراحل النمو الإنساني.

فالنفس الإنسانية تنمو في مراحل متدرجة ومتغيرة الأوصاف إلى حدّ كبير، منها: مرحلة الطفولة، ومرحلة البلوغ والشباب، ومرحلة الأشد، ومرحلة الكهولة، تحت تأثير عامليّ الوراثة والبيئة، ولذلك وجب على من يضع المحتوى التعليمي ويصمّمه، أن يراعي وبشكل دقيق كل مرحلة من مراحل نمو الإنسان وما يناسبها من المعارف والمهارات والخبرات [38-130]، بحيث تلبي حاجات كل مرحلة، وتكون في المستوى العمري والجسدي والعقلي المنسجم مع تلك المرحلة. فما يقدّم في مرحلة الطفولة غير ما يقدم في مرحلة الأشد حيث النضوج العقلي والبدني، وما يراعي من خبرات حسية أو معارف مجدّدة ضمن مواد المحتوى التعليمي، يختلف كذلك في مرحلة الشباب عنه في مرحلة ما قبل المدرسة، وهكذا. وعليه، فالمقصود مما تقدّم أن يُتخذ مرتكز "النمو الإنساني يسير في مراحل متطورة" معياراً أساسياً من بين تلك المعايير التي يعتبرها خبراء المناهج التربوية عند تصميمهم لها، ووضعهم للمادة العلمية المقررة، وهذا يشكل أحد عوامل نجاح العملية التعليمية.

ثالثاً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على مجال "أنواع التربية".

بالنظر في مرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية، وتحديداً مرتكزي بنية النفس وفطرتها، فإنه يلحظ انعكاس تلك المرتكزات في تحديد ما يمكن أن يسمّى "بأنواع أو جوانب التربية" التي يجب أن تعتنى بها العملية التعليمية من خلال المادة الدراسية المقررة، ومن خلال تنفيذ عملية التعليم بأساليبها وأنشطتها المنهجية واللامنهجية المختلفة، بحيث تشتمل على أنواع التربية الآتية، والتي يقف الباحث معها، بما يثبت به الفكرة لا تفاصيل الأنواع:

- **التربية الإيمانية:** وهذا النوع من التربية هو مقتضى لمرتكز فطرة النفس على معرفة الله والاستسلام له، ولكون الروح في بنية النفس الإنسانية. فالعملية التعليمية المنبثقة من الأصل النفسي للتربية الإسلامية تهتمّ بهذا النوع من التربية، وذلك بترقية النفس في مدارج الإيمان وكمال التوحيد، ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

- **التربية الجسمية:** وهي نوع من التربية يرتبط بشكل مباشر بمكوّن "الجسم" أو "الجسد" في بنية النفس الإنسانية. وتُفهم التربية الجسمية على أنها "عمل منظم ومستمر منذ الطفولة (بل وفي مرحلة الحمل) حتى سن الرشد (بل ومرحلة الكبر)، غرضه ضمان النمو الجسدي الكامل، وزيادة قدرة الأعضاء على المقاومة وإبراز القابليات لجميع أنواع التمرينات الطبيعية، والنفعية، وتنمية القوة وسائر صفات العمل والرجولة" [52-91]. وأصل التربية الجسمية في السنة النبوية، في قوله

د. عدنان خطاطبة

صلى الله عليه وسلم: (ولجسدك عليك حقاً) (مسلم، ح رقم 2728)، وهي تربية غاية في الأهمية لعلاقتها الأصلية بالسلوك الإنساني الصادر عن جوارح الجسم، واضطلاع ذلك الجسم بمسؤولياته، وقيامه بواجباته الدينية والدنيوية، ومهام التكاليف الشرعية، كما أن الجسم يشكل الوعاء لجميع عناصر ومكونات النفس الإنسانية [38-120]، لذلك وجب على العملية التعليمية الإسلامية أن تقوي وتوازن الجانب الجسمي للمتعلمين، وتوجهه وجهة إيجابية، تربط فيها بين طاقات الجسم وعبودية الله تعالى.

- **التربية العقلية:** وهو نوع آخر من أنواع التربية التي تحرص عليها العملية التعليمية المستندة إلى الأصل النفسي للتربية الإسلامية، والذي يجعل العقل أحد مكونات النفس الرئيسة. ومن هنا، فالتربية العقلية، تربية تهتم بالجانب العقلي في شخصية المتعلم، "والعناية بالتربية العقلية توجب حسن اختيار نوعية النشاط العقلي الذي يقوم به الفرد، ولا شك في أن الإسلام يدعو إلى طبع العقل بالدقة والتنظيم، وتوجيه حب الاستطلاع للعمليات العقلية العليا، التي تميز التفكير الإنساني، وتصل عالم الشهادة بعالم الغيب، وتدعم الإيمان" [38-126]، وتتمكن من فهم سنن الله في الأنفس والآفاق [28-502]، وفهم مشكلات الحياة والتغلب عليها [27-211]، وتسخير مقدرات الكون بما يخدم الأمة ويعمر الأرض وفق منهج الخالق سبحانه وتعالى.

- **التربية الوجدانية:** وهي تربية ذات صلة بمكوّن القلب، الذي يعدّ مكوناً رئيساً من مكونات النفس، وهو محلّ الإرادة والوجدان وسائر الانفعالات. وتعدّ تربية الوجدان والمشاعر، أو التربية القلبية من أهم أنواع التربية على الإطلاق؛ لأنه بتحققها تتحقق سائر أنواع التربية، وبسلامتها تسلم أنواع التربية الأخرى، كما أن معتقدات القلب ومراداته ومتعلقاته، محلّ نظر الله تعالى. فكثير من أعمال الإيمان كالخشية والخشوع والمراقبة، والإخلاص، والنية، والخوف والرجاء، والمحبة وغيرها من أعمال القلوب التي تتطلب تربية عميقة وشديدة المفعول لتركية النفس بها. ومن هنا، فالعملية التعليمية المنبثقة من التربية الإسلامية وأصولها، لا بُدّ أن تعطي العناية الكافية للتربية الوجدانية أو القلبية أو تربية الباطن، فهي عماد الشخصية الإسلامية.

إن هذه الأنواع من التربية التي يقتضيها الأصل النفسي للتربية الإسلامية، تؤكد شمولية التربية الإسلامية، وتوازنها، وانسجامها مع حقيقة النفس وطبيعتها.

رابعاً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على خصائص المنهاج والمعلم والمتعلم

أ- **خصائص المنهاج:** يؤثر الأصل النفسي للتربية الإسلامية في خصائص المنهاج، فيؤثر في مقررات المنهاج الدراسي بحيث يجعلها شاملة لكافة جوانب شخصية المتعلم: الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والروحية، ومرتبطة بخصائص نموّ المتعلمين ومستويات نضجهم

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

واستعدادهم الجسمي والعقلي واللغوي والانفعالي والاجتماعي، وحاجاتهم ورغباتهم وميولهم وقدراتهم المختلفة، والفروق الفردية بينهم، والعوامل التي تحكم أو تؤثر في نموهم وتعلمهم وإدراكهم للأشياء وتفكيرهم، ومسيرةً لخصائص نمو المتعلم ومستوى نضجه في نواحي النمو، ومشجعةً على التعلم وبذل الجهد والمشاركة الفعالة في العملية التعليمية، ومنطلقاً كذلك من اهتمامات الطلبة واحتياجاتهم حتى يشعروا بأهمية وفائدة وقيمة ما يتعلمونه، ويقبلوا على التعلم بحماس وهمة ونشاط، ومرتبياً ترتيباً سيكولوجياً بحيث يتوافق مع سمات الطلبة النفسية والقدرة تلبية حاجات المتعلمين والتلاؤم مع قدراتهم وإمكاناتهم؛ ذلك أن من معايير ترتيب المحتوى: معايير ترتيب المحتوى وفق البنية النفسية التي منها: معيار مراحل النمو ومعيار جوانب النمو [42-54].

ويؤثر في أهداف المنهاج فيجعل من بينها تحقيق الذات الإنسانية وفق فطرة الله فيها، فالإنسان مخلوق كريم على الله خصه بالخلافة في الأرض، وهناك ارتباط وثيق بين تحقيق الإنسان لذاته وبين قيامه بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله، كما يجب تكامل أهداف المنهاج، فلا تركز على العقل دون الجسم أو الشعور والوجدان أو العكس؛ فإن ذلك يحدث الخلل وعدم التوازن فيه، وهذا يتطلب أن تكون الأهداف مشتملة على الجانب المعرفي في الخبرة الإنسانية وعلى الجانب الوجداني وعلى الجانب الحركي، وأي إغفال لجانب من هذه الجوانب في أهداف المنهج يؤدي إلى إغفال المحتوى والخبرات الخاصة به، وهذا يؤدي بدوره إلى تركيز المنهج على جوانب من الطبيعة الإنسانية وإغفال لأخرى، مما يؤدي إلى الخلل وعدم التوازن في طبيعة المتعلم وشخصيته، فأهداف المنهاج في سائر فروع المعرفة: ينبغي أن تتناول أبعاد النمو الخمسة: العقلية والروحية والانفعالية والاجتماعية والجسمية [55-93]، وهذا ما تقرضه طبيعة الأصل النفسي للتربية الإسلامية.

وبما أن تقويم المنهاج عملية شاملة منظمة تهدف إلى جمع بيانات وافية بأساليب وأدوات متعددة عن مدى اتساق عناصر المنهاج وتأثيره في سلوك الطلاب ثم القيام بعد ذلك باستخلاص نتائج محددة وتقديم اقتراحات عملية للسلطات التربوية تتعلق بتطوير المنهاج؛ فلا بد أن تتأثر عملية التقويم هذه بخصائص المتعلمين وحاجاتهم النمائية، ولا تكون أدوات التقويم مناسبة إلا إذا انطلقت من خصائص المتعلمين وقدراتهم، ومن إدراك واضعي المناهج للفروق الفردية بين المتعلمين حتى في المرحلة النمائية الواحدة، وكما أن التقويم الجيد لا يكتفي بقياس الأهداف المعرفية وإنما يسعى لقياس مدى نمو الطلبة من الناحية المهارية والوجدانية، والجسمية والعقلية، والنفسية والاجتماعية، والروحية [54-167].

د. عدنان خطاطبة

كما يؤثر الأصل النفسي للتربية الإسلامية في طرائق التدريس، فطرائق التعليم والتعلم ينبغي أن تكون مناسبة للأهداف والمحتوى ومناسبة في الوقت نفسه لخصائص المتعلمين وإمكاناتهم في المرحلة النمائية التي ينتسبون إليها. فالطرائق التي تقوم على التفاعل الحسي يحتاجها أطفال المرحلة الأساسية في بلوغ أهدافهم أكثر مما يحتاجها أطفال المرحلة الثانوية، والطرائق والأساليب التي تعتمد العمليات العقلية شبه المجردة والمجردة أنسب لتلاميذ المرحلة التعليمية العليا [55-261].

ب- **خصائص المعلم:** ينعكس الأصل النفسي للتربية الإسلامية على المعلم من حيث تشكل سماته وضرورة مراعاتها في العملية التعليمية، من ذلك: خصائص المعلم الجسمية، فلا بد أن يتمتع المعلم بصحة الجسم ولياقته، وسلامة الحواس والخلو من الحَبَسَات والأزمات الكلامية، والخلو من الأمراض، وسلامة النطق من العيوب، وضبط النفس، وقدرته على تحمل المشاق البدنية، كما أن من صفاته المهمة حسن المظهر وجماله الخارجي، وطهارة باطنه من الأخلاق الرديئة كالغسل والعجب والبخل، وكذلك خصائصه العقلية كالذكاء والقدرة على حل المشكلات وإدراك العلاقات، وخصائصه الانفعالية والوجدانية كالاتزان العاطفي والبعد عن التهور، وضبط النفس، والمرونة والاعتدال، وخصائصه الاجتماعية كالتحلي بالروح الاجتماعية والعلاقات الطيبة والتعاون ومشاركة الآخرين. ولاشك أن الخصائص البدنية والنفسية الجيدة هي التي تسمح للمعلم بتحمل المشاق وبذل الجهد وكثرة النشاط البدني وكثرة الاتصالات التي يتطلبها العمل داخل المدرسة وخارجها [50-262].

كما ينعكس الأصل النفسي للتربية الإسلامية على خاصية الإدراك المعرفي عند المعلم لخصائص المتعلمين وأثر ذلك على دوره الإيجابي في إنجاح العملية التعليمية، حيث إن أدراك المعلم للخصائص النمائية لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة للطلبة وأنماط السلوك المتوقعة منهم وحاجاتهم ومشكلاتهم يفيد في معرفة مستويات الطلبة ومقدار قدراتهم، حتى يستطيع معرفة مستوى الطلبة مقارنة بالمعدل العام، ويقوم بتحديد المتفوقين فيراعيهم مراعاة خاصة، ويعرف المتأخرين ويحدد كيف يعينهم ويأخذ بأيديهم ليرفع مستوياتهم، وذلك يساعد المعلم على ترتيب المحتوى في تسلسل معين ليكون مرتبطا بحاجات المتعلمين و متمشيا مع ميولهم واهتمامهم وملائما مع قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم العقلية. فمثلا في مرحلة الطفولة الأولى التي تستمر ست سنوات يستفاد من سمة بطء النمو الجسمي في هذه المرحلة في تحسين صحة الطفل وزيادة قوته البدنية والعضلية وفي تدريبه على الألعاب والحركات البدنية وعلى المهارات الحركية الأساسية، وكذلك في التخلص من حدته الانفعالية وضبط انفعالاته وتحقيق استقراره الانفعالي،

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

وتكوين عادات انفعالية سليمة. وكذلك يساعد المتعلم في مرحلة المراهقة على التكيف مع نموه الجسمي السريع في مراهقته وبداية بلوغه ومع التغيرات العضوية التي تطرأ على طولته ووزنه ومختلف أجزاء جسمه وشكله الخارجي وفي تحقيق استقراره النفسي وثقته بنفسه [54-290].

كما يؤثر الأصل لنفسي للتربية الإسلامية في قدرة المعلم على الاختيار الأنسب لطرق التدريس فيراعي استعدادات وقدرات التلميذ الجسمية كما يراعي قواه الانفعالية وقدراته العقلية. والمعلم الناجح هو الذي يجعل من طريقة وأسلوب تدريسه حافزا لنشاط طلابه، ومحرماً للدوافع والطاقت التعليمية الكامنة فيهم. وقد أثبتت الدراسات أن لصفات المعلم الوجدانية المتزنة أثرها في تعليم الطلبة، فالمعلمون الذين يتميزون بالتسامح تجاه طلبتهم ويعبرون عن مشاعر ودية حيالهم ويتقبلون أفكارهم هم أكثر فاعلية من غيرهم. وأثبتت كذلك الدراسات أن لخصائص المعلمين الانفعالية دوراً يفوق الخصائص المعرفية حيال التأثير في الطلبة [30-434].

ج- خصائص المتعلم: يؤثر الأصل النفسي في العملية التعليمية بحيث يجعلها تحرص كل الحرص على سمات المتعلم الجسمية والصحية والاجتماعية، فتعتني بالجانب الجسمي للمتعلم، فالؤمن القوي أفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي هذا المجال حضت التربية الإسلامية على تعليم الأطفال السباحة والرمية وركوب الخيل؛ أي حث الكبار والمعلمين على تنمية الجانب الجسمي بتعليم الأطفال كافة التمارين الرياضية التي من شأنها أن تقوي الروح والجسم معاً. وفي جانب الخصائص الاجتماعية للمتعلم حضت على حضور الحفلات والنشاطات الاجتماعية التي تقيمها المدرسة، وحضور مجالس الكبار وذوي الخبرة، وإفشاء السلام ومساعدة المحتاجين. وفي جانب الخصائص العقلية للمتعلم دعت التربية الإسلامية إلى استخدام الحواس في التعليم والاستفادة منها، ولا شك أن استخدام الحواس يبقى مع كل التطورات التكنولوجية الحديثة، وهو الطريق الأساسي نحو الملاحظة العلمية للظواهر الاجتماعية والطبيعية. يتطلب كل هذا سلامة الأجهزة التي تستقبل مؤثرات التعلم كالحواس، والأعضاء المختلفة والأعصاب، وتوافر قدرات عقلية كافية لأداء التعلم أو لزيادة فاعليته كالذكاء. وفي جانب السمات الانفعالية للمتعلم حرصت التربية الإسلامية على بناء الشخصية المتزنة في دوافعها وعواطفها ونزعاتها، والمستقرة نفسياً، والمنكيفة مع نفسها ومع غيرها، فجعلت من بين أهدافها مساعدة المتعلم على تحقيق النضج الانفعالي والصحة النفسية، ففي مرحلة المراهقة تتم عملية تهذيب الطاقة الجنسية، وتحديد العلاقات بين الجنسين، وتشجيع المراهق على الاشتراك في الأنشطة الرياضية المختلفة؛ لكونه يشعر بشيء من عدم الاتزان الحركي نتيجة للنمو الجسمي المفاجئ والمضطرد [56-361]. وفي كل ذلك تنمية لسمات المتعلم وتعديل لطبيعته الجسمية والعقلية والوجدانية.

د. عدنان خطاطبة

خامساً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على فاعلية المعلم المتعلم في الموقف الصفّي

لمرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية ومبادئها انعكاسات تربوية عديدة على تفاعل كل من المعلم والمتعلم في الموقف الصفّي، منها: تعظيم المعلم في نفوس المتعلمين قَدْرَ الله وجلاله، واستشعار قوته الكبيرة وقدرته المطلقة، من خلال شرحه لمعاني أسمائه: الخالق سبحانه والبارئ والمصور، وربط ذلك بكون الله هو الخالق للنفس الإنسانية في أحسن تقويم.

وتقدير قيمة "الحمد" و"الشكر" لله تعالى في العملية التعليمية، سواء عند المعلمين أم المتعلمين؛ لأنه سبحانه هو الذي أنعم على الجميع بنعمة العقل التي بها تحصل المعرفة، ويُنال العلم، وتتم عملية التعليم. فالعقل هو أحد مكونات النفس الإنسانية، وهو هبة الله سبحانه لعباده. واحترام شخصية المتعلم وتقدير إنسانيته، وعدم احتقاره وإهانته، وابتذال كرامته، وتحطيم نفسيته، باعتبار أنه مخلوق إنساني، مكرم الأصل والخُلقة، فإله تعالى هو الذي خلقه وكرّمه، وميّزه عن عالم الحيوانات؛ لذا لا يجوز للمعلم أن يعامل تلاميذه كما تُعامل قُطعان الحيوانات، لا معنوياً ولا مادياً. "وتزويد المتعلم بالمعلومات والحقائق والتجارب الكافية، التي تعمق في نفسه معاني الفطرة والخيرية التي وُلد أصلاً وهو مزود بها" [38-112]، وكامنة في أعماق ذاته، بحيث تصبح توجيهاته في الحياة، وسلوكياته اليومية منسجمة مع تلك الفطرة. كما يجب على المعلم عدم مصادمة فطرة الطالب بأيّ فكر من شأنه مناقضة تلك الفطرة أو الاصطدام بمعطياتها وحرّفها عن صراط خالقها سبحانه وتعالى.

كما تجعل المعلم يتعاطى مع حرّية المتعلم بشكل إيجابي، من خلال السماح له بالتعبير عن آرائه داخل قاعة الصف بطريقة علمية ومؤدبة، وإعطائه الفرصة للجميع بإبداء آرائهم وتعليمهم الالتزام الشرعي بضوابط تلك الحرية، ومعرفة حدودها، واحترام حريات الآخرين. كما يُذكّر المعلم تلاميذه بأنّ تلك الحرية التي تتمتع بها نفوسهم إنما هي من عطاء الله تعالى لهم، وأنّ عليهم أن يقيّدوا حرّيتهم بما يرضي الله تعالى، في الوقت نفسه الذي يستشعرون به مكانتهم السامية بسبب تلك الحرّية. ويستفيد المعلم من خاصية مرونة النفس وقابلية سلوكها للتعديل، في إقناع التلاميذ بإمكانية تطوير عقليتهم العلمية وتحسين نتائجهم، وتغيير أي سلوك سلبي قد اعتادوا عليه [44-308]، وأنه ليس من المستحيل ترك العادات السيئة، وتطوير النفس. وهذا تطبيق تربوي غاية في الأهمية؛ لأنه يزرع الثقة في نفسية الطالب. ويوجه المعلم طاقات المتعلم واستعداداته وقواه التي منحها الله إياها، نحو تطويرها وتحسينها ابتداءً، ثم استغلالها لما يخدمه في زيادة معارفه، وتقديمه في البحث العلمي، وإتقان مهارات العمل، وإنجاز الواجبات، ومساعدة

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

غيره من الطلاب، وخدمة المدرسة بمختلف الأنشطة اللامنهجية. ويراعي المعلم، وبشكل دقيق، الفروق الفردية بين المتعلمين الذين تختلف صفاتهم وقدراتهم المادية والمعنوية، "فالمتعلمون متفاوتون في قدراتهم الجسمانية والعقلانية على أداء المهام التي يكلفون بها من حيث درجة الإتقان، وسرعة الإنجاز" [39-142]، ومستويات العمليات العقلية، والمهارات المهنية، وإجراء التجارب، وغير ذلك. ولذا تعتبر معرفة الفروق الفردية بين المتعلمين مهمة جداً للمعلم؛ لأنها "تساعده على حسن اختيار الاستراتيجيات التدريسية في أسلوب التدريس والوسيلة التعليمية والتقنية، وأنواع النشاط، ونظام الثواب والعقاب" [39-28]. وهذا يستلزم تقديم المادة العلمية المناسبة للجميع، وتطوير المنهاج التعليمي بحيث يراعي تلك الفروق الفردية بين المتعلمين.

وتعدّ عملية التعلّم والتعليم عملية مدفوعة، وهذا استناداً لمرتکز: "سلوك النفس الإنسانية مدفوع"، فالتعلّم والتعليم سلوك، ووراء كل سلوك دافع. ومن هنا فإنّ للدوافع دور مهم في العملية التعليمية، حيث توظّف الدافعية لاستشارة التلاميذ على التعلّم، وحفزهم إلى الاكتشاف والرغبة في التحصيل، وإثارة الطموح، وغير ذلك من الأمور التي تقوم بها المدرسة والمعلم، فالتعليم لا يكون مثمراً إلا إذا كان يرضي دوافع لدى المتعلم" [53-223]. كما يساعد معرفة الدوافع المعلم في تفسير سلوك الطلبة، والعمل على مساعدتهم لتعديل السلبي منها، ويختصر الجهد والوقت في تعليم المهارة للطلّاب من خلال إثارة انتباهه وتشويقه [42-157]. ومما لا شك فيه أنّ للدوافع الإيمانية أثرها البالغ في عملية التعلّم والتعليم عند طلبة العلم، كما يشهد بذلك الواقع العلمي في حضارتنا الإسلامية [57-194]، حيث الرحلة وتحمل العناء لأجل تحصيل العلم، والصبر على مشاقّة، وتعليمه وبذله لعامة المسلمين، ووقف المال على طلبة العلم، كل ذلك وغيره، بدافع تحقيق مرضاة الله تعالى وعبوديته، وهي الغاية الكلية من وجود النفس الإنسانية.

ويعمل المعلم في مدرسته أو جامعته على تحقيق التوازن بين الفردية والجماعية عند المتعلّم باعتبارها نزعاً أصيلة في النفس الإنساني من منظور التربية الإسلامية، بحيث يتربى المتعلّم على الارتقاء بذاته وتحقيقها، وتفوقه العلمي، وتميّزه، بعيداً عن الأنانية، والحسد، بل يتمّ ذلك في إطار من التنافس المحمود، والأخوة، والتعاون، والتفاعل الإيجابي، وإظهار مشاعر المودة والتراحم مع الجميع، وإلقاء السلام، والتزاور، والرحلات الجماعية، بما يجسد روح الجماعة والأخوة التي دعت إليها التربية الإسلامية، ويجعل من المدرسة أو الصف الدراسي مجتمعاً إسلامياً، تظهر فيه شخصية المتعلم المسلم المتميّزة والمستقلة، والمتواصلة والمتفاعلة مع محيطها بإيجابية وعطاء في الوقت نفسه.

د. عدنان خطاطبة

سادساً: انعكاسات الأصل النفسي للتربية الإسلامية على الإدارة التربوية

يدفع الفقه العملي لمرتكزات الأصل النفسي للتربية الإسلامية، "الإدارة التربوية" إلى احترام شخصية كل من المعلم والمتعلم، وتقدير كل العاملين في مؤسسة التعليم، والسماح لهم بالتعبير عن آرائهم، كما تتحمل مسؤوليتها تجاه ضبط العملية التعليمية وفق قيم الإسلام النفسية، ومراعاة جميع المبادئ التربوية المنبثقة منها، مبتعدة عن السلطوية، والتفرد، والانعزالية عن الجماهير، وموفرة المناخ التعليمي المناسب لكل من المعلم والمتعلم، وتقديم الحوافز المادية والمعنوية، وتعزيز كل متفوق، وتوجيه كل أهداف العملية التعليمية القريبة والبعيدة لتحقيق الغاية الكلية التي من أجلها خلق الله النفس الإنسانية، وهي غاية العبودية والفوز برضوان الله تعالى.

كما يعمل الأصل النفسي للتربية الإسلامية على تفعيل "الإدارة التربوية" لمبدأ الشورى، وتربية جميع أعضاء الهيئة الإدارية والأكاديمية على قيم التحاور والتناصح والعمل الإيجابي، لما في ذلك من تنمية لنزعة الجماعية، وخاصة الحرية التي تتمتع بها النفس الإنسانية. وتوفير "الإدارة التربوية" لجميع مصادر المعرفة الإسلامية والعلمية التي تشرح طبيعة النفس الإنسانية، وهذا مرتبط بنظام التعليم الذي تتبعه الإدارة التربوية، والذي لا بُد لتصوراته الكلية التي ينطلق منها، من تحديد موقفها من النفس الإنسانية بصفة أساسية؛ ذلك لأن "الإنسان هو محور العمل التربوي وركيزته، فنحن عندما نربي إنما نربي "إنساناً"، وعندما نعلم إنما نعلم "إنساناً"، وعندما تقام المؤسسات التربوية والمعاهد التعليمية فمن أجل "الإنسان" معلماً ومتعلماً وعاملاً" [37-75]. والأصل النفسي للتربية الإسلامية يقدم معطيات مهمة جداً في فهم الطبيعة الإنسانية، كما تقدم في هذه الدراسة من مجموعة المرتكزات، والتي تشكل "ثوابت" وحقائق علمية في تصور حقيقة النفس الإنسانية التي تتوجه إليها العملية التعليمية، وعلى الإدارة التربوية الإسلامية وأنظمتها العامة، أن تتعاطى مع هذه الثوابت التي تكفل لها تطبيقات تربوية وتعليمية منسجمة مع طبيعة النفس، مما يؤدي إلى مخرجات تعليمية مقبولة، وحاملة لقيم المجتمع المسلم.

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

الخاتمة:

أولاً: الاستنتاجات: وأهمها ما يأتي:

- مفهوم النفس في منظور التربية يدل على "مجموع الإنسان" و"ذاته كلّها" بعموم مكوناتها المادية والمعنوية، وهو الغالب في استعمال النصوص الشرعية، يدل أحياناً على بعض مكونات النفس المعنوية كالروح أو جانبها الباطني.
- مفهوم الأصل النفسي للتربية الإسلامية يدل على أنه منظومة المفاهيم والمرتكزات الإسلامية المتعلقة بالنفس الإنسانية، والتي تُفيد البناء المعرفي للتربية الإسلامية، وتقوم على أساسها عملياتها التربوية والتعليمية.
- يتضمن مرتكز "النفس الإنسانية مخلوقة إنساناً أصالة" المبدأ التربوي "كرامة النفس الإنسانية في التربية الإسلامية".
- الخطاب التربوي للنفس الإنسانية جاء متطابقاً مع النظرة إلى بنيتها الكلية المتفاعلة ذات البعدين المادّي والروحي دون الفصل الجذري في نوعية الخطاب.
- يتضمن مرتكز "النفس الإنسانية مزدوجة البنية ومتفاعلة المكونات" المبدأ التربوي الآتي: "التوازن في تربية الشخصية المسلمة".
- النفس الإنسانية نفس نامية ومتطورة تحدث لها تغيرات كمية ونوعية في مختلف جوانبها ضمن مراحل عمرية تسير بها، وتحت تأثير عوامل محددة.
- ينطوي مرتكز "للنفس الإنسانية حرّيتها واستعدادها" على المبدأ التربوي "قابلية النفس لتعديل سلوكها ومسؤوليتها عنه".
- يتضمن مرتكز "للنفس الإنسانية صفاتها المختلفة وأحوالها المتطورة" المبدأ التربوي "مراعاة الفروق الفردية في عملية تربية النفس الإنسانية".
- المبدأ التربوي الذي يتطلبه مرتكز "النفس الإنسانية مدفوعة السلوك"، هو مبدأ "تربية الدوافع".
- ينطوي مرتكز "النفس الإنسانية ذات نزعة فردية وجماعية"، على المبدأ التربوي الآتي: "الاتصال الإنساني المعتدل".
- احترام شخصية المتعلّم وتقدير إنسانيته، وعدم احتقاره وإهانته، وابتذال كرامته، وتحطيم نفسيته، باعتبار أنه مخلوق إنساني، مكرم الأصل والخُلقة.
- يوجّه المعلّم طاقات المتعلّم واستعداداته وقواه التي منحها الله إياها، نحو تطويرها وتحسينها ابتداءً، ثم استغلالها لما يخدمه في زيادة معارفه، وتقديمه في البحث العلمي، وإتقان مهارات العمل، وإنجاز الواجبات.

د. عدنان خطاطبة

- جميع أعضاء الهيئة الإدارية والأكاديمية على قيم التحاور والتناصح والعمل الإيجابي، لما في ذلك من تنمية لنزعة الجماعية، وخاصة الحرية التي تتمتع بها النفس الإنسانية.
- ثانياً: التوصيات:** توصي الدراسة المؤسسات التربوية الحكومية والخاصة بالإفادة من الدراسات التربوية الإسلامية المتخصصة بمجال أصول التربية الإسلامية في توجيه العملية التعليمية وتدعو القائمين على تصميم المناهج الدراسية بالأخذ بعين الاعتبار نتائج معطيات الدراسات العلمية المتخصصة بمجال النمو الإنساني من منظور نفسي إسلامي.
- ثالثاً: مقترحات:** يقترح الباحث على طلبة الدراسات العليا القيام بإجراء دراساتهم في الماجستير والدكتوراه باختيار مرتكز واحد من مرتكزات هذه الدراسة والتعمق النظري فيه والتطبيق الميداني له، لمعرفة مدى تطبيقه في العملية التعليمية وتقديم رؤية لدوره في تصميم المنهاج التربوي.

المراجع:

- [25] ابن تيمية، أحمد، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن قاسم (د.ط).
- [9] ابن حجر، أحمد، **فتح الباري**، دار الفكر، بيروت، (1993).
- [6] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس (د.ط).
- [1] ابن فارس، أحمد، **معجم المقاييس اللغوية**، دار الفكر، بيروت، (1998).
- [33] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل** (د.ط).
- [23] ابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، دار الخير، بيروت، ط1، (1990).
- [3] ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2005).
- [22] أبو العينين، علي، **الأصول الفلسفية للتربية**، دار الفكر، عمان، ط1، (2003).
- [48] أبو جلالة، صبحي، **أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة**، مكتبة الفلاح، ط1، (2001).
- [18] أبو شلطة، أحمد، **مفهوم الإنسان في القرآن الكريم والحديث الشريف**، منشورات الحلبي، بيروت، ط1، (2007).
- [36] أحمد، لطفي، **في الفكر التربوي الإسلامي**، دار المريخ، الرياض، ط1، (1982).
- [11] باقارش، صالح، **أصول التربية العامة والإسلامية**، دار الأندلس، حائل، ط2، (1996).
- [7] البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، دار طيبة، ط4، (1971).
- [42] بني جابر، جودت، **المدخل إلى علم النفس**، مكتبة الثقافة، عمان، ط1، (2002).
- [49] بني عامر، محمد، **قضايا في أصول التربية**، دار اليازودي، عمان، (2012).

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

- [26] التركي، ناصر عبد الله، الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، جامعة الإمام، (2006).
- [21] النل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط1، (2005).
- [31] توفيق، محمد عزّ الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة، ط1، (1988).
- [54] جان، محمد صالح، أسس المناهج وعناصرها وتنظيماتها من منظور إسلامي، ط1، (2006).
- [10] الحازمي، عبد الرحمن، التوجيه الإسلامي لأصول التربية، جامعة أم القرى، ط1، (2004).
- [34] حسن، عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، (1995).
- [39] الخوالدة، ناصر أحمد، وبجي عيد، مراعاة مبادئ الفروق الفردية وتطبيقاتها في تدريس التربية الإسلامية، دار وائل، عمان، ط1، (2005).
- [2] الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، (1995).
- [13] السرخي، إبراهيم، السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، ط1، (2002).
- [16] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط1، (2000).
- [46] الشرع، زكريا عبد الله، الفكر التربوي عند جون ديوي ومحمد قطب (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراة، جامعة بغداد، (2004).
- [19] الشريفين، عماد، نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، دار عماد، عمان، ط1، (2010).
- [30] الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب (د ط).
- [50] الشيباني، عمر التومي، علم النفس التربوي، جامعة الفاتح، ط1، (2001).
- [12] عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الحديث، القاهرة، (2001).
- [52] عبد العال، حسن إبراهيم، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية: التربية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، (1985).

د. عدنان خطاطبة

- [38] عبد الله، عبد الرحمن، المنهاج الدراسي: رؤية إسلامية، دار الياقوت، عمان، ط2، (2000).
- [56] علاونه، شفيق، خصائص المتعلم من وجهة النظر الإسلامية، مؤتمر النظرة التربوية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، (1990).
- [37] علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ط1، (2005).
- [41] الغالي، بلقاسم محمد، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد1، (2007).
- [32] غنايم، مهني محمد، أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، (1990).
- [55] فرحان، إسحاق، وآخرون، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، ط2، (1999).
- [57] فلاته، احمد، آداب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي، دار المجتمع، جدة، ط1، (1993).
- [4] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، (1986).
- [45] القرشي، نايف، التربية الجماعية في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (2009).
- [8] القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (2004).
- [28] الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دار القلم، دبي، ط1، (2008).
- [5] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، (1989).
- [29] المجمع الملكي، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس، (1987).
- [53] محمد، أحمد الحاج، أصول التربية، دار المناهج، (2001).
- [17] محمود، علي، النفس في الإسلام، دار التوزيع، القاهرة، ط1، (2005).
- [35] مذكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة، بيروت، (1990).
- [27] مدلول، محمد طالب، الحواس الإنسانية في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2007).

الأصل النفسي للتربية الإسلامية: "دراسة تأصيلية"

- [24] منصور، عبد المجيد، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس، مكتبة الأنجلو، (2002).
- [43] المومني، محمد علي، الدوافع وأثرها في التربية الإسلامية: دراسة وصفية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، (1994).
- [51] ناصر، إبراهيم، أسس التربية، دار عمار، عمان، (2005).
- [40] نجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط4، (2004).
- [20] نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، (1982).
- [47] النجار، مسعد، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، (1995).
- [14] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1929).
- [44] يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، (1977).
- [15] يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط1، (1986).